روايات عبير

ملهى منتصف الليل

www.elromancia.com

مرموقة

Lisa BAKER

N° 617

روايات عبير

تختار شركة بناء الفنادق والمنتجعات السياحية إحدى الجزر المنعزلة في "هونولولو" ويقع اختيارها على "كارين" لتدير موقع العمل. تواجه الشابة بعداء شديد من أهل الجزيرة لمعارضتهم دخول الحضارة وتغيير معالم الجزيرة، كما تقابل بعداء من العمال الذين لا يحبون أن تكون رئيستهم امرأة، وتقابل أيضا بعداء بشكل خاص من الشاب مالك الأراضي الشاسعة في الجزيرة والتي كان يستغلها في زراعة وتصدير الأناناس إلا أنه اضطر لبيع جزء من أرضه لمواجهة الأزمة المالية التي واجهته نتيجة خسائره في زراعة الأناناس. ويحاول كبير العمال وهو من أهل الجزيرة مضايقتها ومطاردتها إلا أنها تكتشف قيامه بسرقة المعدات والمواد واستبدالها بمواد غير صالحة ثم يدعي أنها طردته؛ لأنه رفض مغازلتها على عكس الحقيقة. تقع الشابة في حب صاحب الأراضي الذي كان يحبها ولكنه كان عدوانيا وشرسا. وتتوالى الأزمات والمتاعب على "كارين" فكيف تنتهي؟

www.liilas.com

ISBN 9953-424-93-4
9 789953 424934

ثمن النسخة

لبنان	٢٥٠٠ ل.	قطر	٨ ريال
سوريا	٧٥ ل.	مسقط	٧٥٠ بيسة
الأردن	١ دينار	مصر	٥ جنيه
السعودية	٨ ريال	المغرب	٢٠ درهم
الكويت	٧٥٠ فلس	ليبيا	١ دينار
الإمارات	٨ دراهم	تونس	٣ دينار
البحرين	٧٥٠ فلس	اليمن	٢٥٠ ريال
U.K.	2£		

شخصيات الرواية

- "كارين تاليس": ابنة صاحب شركة بناء الفنادق والشريكة بعد وفاته وكلفت بالإشراف على موقع العمل.

- "ڤانسي وارنر": صاحب أراض شاسعة في جزيرة من جزر "هونولولو" اضطر لبيع جزء من أرضه لشركة بناء الفنادق.

- "جوردان ناش": رئيس مجلس إدارة الشركة.

"هيرا": مواطنة بالجزيرة ومن أصل أسيوي وتعمل مديرة بيت "ڤانسي وارنر".

- "چون أوميشي": رئيس العمال في موقع العمل.

- "تامي ناكامورا": ابنة "هيرا" وتعمل مضيفة جوية.

www.elromancia.com

المقدمة

استجمعت "كارين" كل شجاعتها وقالت:

– لقد غيرت رأيي.

– غريبة! كيف هذا؟

أخذ "ڤانسي" يتفرس فيها وفمه مفتوح دون أن يفهم وهي تشد البشكير حول وسطها. مد يده.

– لا.

صفر بشفتيه:

– شيء غير عادي! لقد كنت دائما أعجب بالنساء اللاتي يعرفن كيف يتخذن قرارات سريعة.

لزمت الصمت فغضب وصاح:

– ألا تظنين أنك مدينة لي ببعض التفسير؟ لم تظهري أي علامات تدل على عدم الرضا من دقيقتين.

ذهبت لتستند بكوعها على حافة المدفأة وهي ترتجف ربما من البرد أو الإحباط أو كليهما.

الفصل الأول

كانت الريح تهب بلا هوادة. وكانت السيارة "التويوتا" الصغيرة التي استأجرتها "كارين" من المطار ترتجف تحت وابل المطر. وكانت جزيرة "مولوكي" –التي سميت في الماضي جزيرة الوحدة أو الجزيرة المنسية– تستحق تلك الأسماء الحزينة.

ومع ذلك لم تكن تلك الكلمات تفزع الشابة. لقد اختارت مهنة تفرض عليها الوحدة والنفي في أراض بعيدة جدا وبرية مثل أصغر جزر "هاواي" الأقل تحضرا.

ألم تمر عليها حقا عشرون ساعة منذ أن غادرت مركزها في الشركة في "مينيابوليس"؟ إن هذه الرحلة لن تنتهي منها أبدا. لقد أخر الضباب هبوط الطائرة في "لوس أنجلوس" وبالتالي لم تلحق "كارين" بالطائرة التي ستوصلها إلى "هونولولو" لحسن الحظ أو ربما يمكن القول لسوء الحظ فإن شركة الطيران عثرت على طيار خاص لينقلها إلى الميناء.

للمرة المليون كان جدول ماء يظهر فتقف ولكن هذه المرة كان الأمر قد وصل إلى السيل والفيضان وكانت المياه تغطي الخط الأحمر على الأرض مشكلة خطرا بالغا. وعن يمين ويسار العقبة التي أمامها كان الليل الذي يحجب الرؤية يقف كالجدار أمامها. ما الذي تفعله؟ زفرت من التعب.

هل تنام على الأريكة الخلفية للسيارة وتنتظر النهار؟ وماذا لو سار السيل نهرا؟ وماذا لو سقطت شجرة جوز الهند على السيارة؟ هل تعبر؟ إن التيار يهدد بسحب "التويوتا" إلى المحيط.

لقد كان التصميم الذي ساندها طوال الأعوام الماضية في أثناء

www.elromancia.com

دراساتها وأثناء تجاربها المهنية التي شغلتها صلبا وذهبت بتصميمها وصلابتها. وليسموا هذا التصرف من جانبها عنادا أو غباء فقد فات الوقت على التغيير.

اندفعت "كارين" بسيارتها وسط المياه الهائجة. كانت تنحرف يمينا ويسارا لتتجنب الفخاخ وأعشاش الدجاج ولكن ذلك كان مستحيلا واستمرت في طريقها. بعد أن زفرت ارتياحا عندما أحست بعجلات السيارة تستقر على الجانب الآخر من الهضبة. اضطرت إلى الوقوف بوحشية عندما سقطت في مطب عميق ولاحظت لافتة تصدر صفيرا من الريح على اليسار.

وجهت كشافات سيارتها نحو اللافتة وقرأت "تومب لوڤان" أي "قبر الريح". لابد أنها غلطة شنيعة هذا الاسم ما لم يكن المقصود هو المزاح. كان تصور قرب وصولها قد جعلها تزيد من السرعة، كانت وعورة الطريق وغياب الرؤية يمنعانها مع ذلك، من تجاوز سرعة أربعين كيلو مترا في الساعة وعندما خرجت من منحنى رأت خيالا يظهر وسط الليل وسط الطريق بالضبط. انحرفت "كارين" بالمقود بقوة وهي تضغط على الفرامل فانحرفت السيارة ودفعت من الأرض دفعة ضخمة من الماء القذر وانتهت إلى التوقف تماما. ولكن الرجل كان سليما ولكنه ملطخ بالطين. صاحت "كارين" -وهي تفتح باب السيارة-:

- هل حدث لك شيء؟

لم تنه عبارتها حتى سبها صوت غاضب:

- ما الذي جرى لك حتى تقودي بهذه السرعة؟

احتجت:

- أنا لم أتجاوز حتى أربعين كيلو مترا في الساعة وأنت.. ما الذي تفعله في وسط الطريق؟

- أنا في بيتي.. والسائحون ليس لهم ما يفعلونه هنا.

صاحت "كارين":

- أنا آسفة.. لابد أنني ضللت الطريق. هل يمكن أن تدلني على الطريق إلى ضيعة تسمى "تومب لوڤان"؟

- إنك أوشكت أن تصرعي رجلا ثم تطلبي منه بعد ذلك أن يدلك على الطريق. إنه البيت الرئيسي هنا على اليمين ولكني أحب أن أنبهك إلى أن هذه الأملاك ليست مفتوحة للسياح.

ردت "كارين" -وهي تنحني لتمسك بحقيبتها-:

- إنني أشكرك وأتعشم أن يكون السيد "ڤانسي وارنر" موجودا في بيته.

- وماذا تريدين منه؟

ردت عليه بخشونة:

- هذا ليس من شأنك.

- هل أنت صحفية؟

لم ترد عليه وإنما اتجهت إلى الشكل الرمادي الذي أشار لها إليه. بعد ذلك ضغطت على جرس الباب أربع مرات دون جدوى وبعد ذلك استقر رأيها على استخدام السقاطة الثقيلة التي على شكل ثمرة الأناناس والمصنوعة من النحاس فانفتح الباب في الحال على مدخل مهجور، ولم يكن يخترق العتمة سوى شعاع ضوء في نهاية الردهة. صاحت:

- هل هناك أحد؟

- ماذا تريدين؟

تعرفت على الصوت غير المرحب لذلك الشخص الذي أوشكت أن تقتله على الطريق. كان واقفا خلف أحد مصراعي الباب وبدا أنه لم يكن يرغب في الظهور.

www.elromancia.com

– لقد سبق أن أخبرتك بأنني أريد رؤية السيد "فانسي وارنر".

– إنني أنا المسؤول عن هذه الأمور.

قالت –وهي تتنفس الصعداء–:

– حسنا.. أنا "كارين تاليس" من شركة "إيمو فاكانسي" التي ستبني مجمعا فندقيا هنا.

قال الصوت مزمجرا:

– وزوجك؟ هل ينتظر في الدفء داخل السيارة؟

كانت مرهقة لا تستطيع الرد وتصحيح معلوماته.

– اسمع.. أنا آسفة لأنني غطيتك بالطين. أرسل إلي فاتورة محل التنظيف، ولكن كف عن إضاعتك لوقتي. إن العقد ينص على إعطائي كوخا من نوع "البنجالو" وإنني سأتناول وجباتي في البيت الكبير. والآن دعني أقابل السيد "وارنر".

– إن السيد "وارنر" لايريد أن يزعجه أحد بهذا المشروع.

قالت "كارين" في نفسها: ولكن هذا لم يمنعه من أن يستولي على شيك بعدة ملايين من الدولارات.

استأنف الرجل حديثه:

– تعالي! سأريك مقر إقامتك.. هل يجب علي أن أذهب وأحضر حقيبة سفرك؟

– لا داعي لذلك.

كانت قد فقدت حقيبة ملابسها في مكان ما من مطار "هونولولو". وقد وعدوها بإجراء البحث وإرسالها إليها في أقرب وقت مستطاع.

خرج ذلك المخلوق من مكمنه. كان أطول منها وأضخم وهو أمر غير معتاد بالنسبة لـ"كارين" التي تبلغ من الطول مترا واثنين وثمانين سنتيمترا. تقدمها الرجل وفي يده كشاف بطارية في الطريق

المرصوف الذي يربط ما بين المبنيين.

فتح باب الكوخ وأضاء النور. ولاحظت أنها بينما تتلقى كل الأمطار وهي تستخدم الجرس والسقاطة. كان الرجل قد بدل ملابسه. وقد أبرز القميص المصنوع من "التوال" الناعم عضلات صدره وكتفيه المثيرة.

استدار الرجل نحو "كارين" وعرفت في الحال معنى التعبير "جميل مثل القمر". وقالت في الحال في نفسها: هذا ما انتهت إليه تلك الرحلة الطويلة.. أن تفقد عقلها أمام أول وجه رجل لا بأس به. قال:

– إن الإفطار يقدم في السادسة والنصف. عند خروجه ثانية احتكت كتفه بالشابة التي لم تستطع أن تمنع نفسها من الارتجاف هل هذا بسبب البرد والرطوبة؟ مؤكد.

كانت الغرفة نظيفة وجيدة الديكور ومريحة وهو ما أسعد "كارين". كانت مواقع العمل الأخرى تضطرها إلى الإقامة في حجرات فنادق حقيرة تهاجمها الحشرات، وأحيانا في خيمة مفتوحة من كل الاتجاهات.

كانت الجدران مطلية باللون الأصفر وقد أقيمت مدفأة على الجدار الأيسر وأمامها مقعدان مثيران بمساند. وعن اليمين مكتب وبعده بمسافة سرير ضخم مغطى باللون الأصفر الأغمق من لون ورق الجدران. وأمامها بين نافذتين دولاب ضخم به شماعات وأدراج. والأرضية مغطاة بالبلاط بلون الطوب الأحمر. ولا يوجد سجاد أو موكيت بسبب الجو الممطر الرطب.

فتحت "كارين" بابا واكتشفت حماما كاملا، سمعت صوتا يقول:– إيه؟

فزعت ورأت الرجل واقفا على العتبة وقال –وقد بدا عليه الإحراج–:

www.elromancia.com

– إن الجو بارد بعض الشيء هذا المساء. هل ترغبين في أن أشعل لك نيران المدفأة؟

– بكل سرور.

قبع بجوار المدفأة ووضع قطع الخشب الصغيرة وكتل الخشب والورق بطريقة العالم القدير. وكانت عضلات ظهره تبدو بارزة تحت الضوء. ارتجفت عندما استدار برأسه وحدجها بعينيه الرماديتين وسألها:

– في أي ساعة سيحضر زوجك؟ إنها تمطر وليست لدي نية أن أنتظره بالخارج.

– إنني لست متزوجة ورئيسة الموقع هي أنا.

فغر الرجل فمه في ذهول ثم أشعل النيران في صمت ودون أي تعليق. اشتعلت النيران في الحال وقال وهو يذهب:

– تصبحين على خير!

هزت رأسها.. كانت تلزمها بالفعل ليلة سعيدة حتى تصبح في كامل لياقتها في اليوم التالي. كانت شركة "إيمو" تبني مجمعات فندقية في جميع أنحاء العالم تقريبا. وكانت مهنة واحدة مفتوحة أمامها لو أثبتت أنها على مستوى المسؤولية في أول مهمة لها. وكان الطريق الذي انتقاه من قبل رئيسها "جوردان ناش" لا يشتمل إلا على رجال من بينهم بالتأكيد من لا يحب أن يطيع الأوامر الصادرة من امرأة.

وكان ذلك أحد الأسئلة التي تسيطر علي تفكيرها منذ اليوم الذي أوكلت إليها إدارة الموقع في "مولوكي" ولم تبق أمامها إلا مقابلة الشخص الغامض "ڤانسي وارنر" والذي لن يكون بالقطع أكثر سماحة من سكرتيره.

ورغم عدم وجود صابون لوجوده في الحقيبة الضائعة إلا أن الدش الساخن أفادها وأزال بعضا من مخاوفها ووساوسها.

الفصل الثاني

كان تغيير نظام التوقيت قد سمح لـ"كارين" أن تنهض من نومها دون مشقة. ارتدت بلوزتها وبنطلونها اللذين ارتدتهما بالأمس، وخرجت. كانت الأمطار قد كفت عن الهطول ولكن سحابات ضخمة وثقيلة تعتم قمم التلال.

اتجهت نحو باب الدخول للمنزل الكبير عندما نادتها امرأة ضئيلة الحجم مظهرها ياباني:

– هل أنت من موقع العمل؟

ردت في ود:

– نعم.. صباح الخير.. أنا "كارين تاليس".

ردت المرأة بجفاء وهي تشير إليها أن تتبعها:

– إن باب المطبخ من هذا الجانب.

لقد حرموا عليها إذن الدخول من باب السادة النبلاء للمنزل. من الواضح أن العقد لم ينص على مكان ولا طبيعة الوجبات. ونظرا لحرارة الاستقبال أو بالأحرى برودة الاستقبال كان على "كارين" أن تتوقع الأسوأ: مرقة اللحم وقطعة من الخبز الجاف وبقايا الطعام.

ومع ذلك فإن هذا أفضل من غابة "غينيا" الجديدة التي لم تقدم لها كوخا مريحا مثل هذا الذي نزلت فيه هنا.

كان البيت الكبير مقاما من الأحجار البركانية السوداء عبارة عن شرفة أمام الدور الأول تطل على تجميل به أحواض من الزهور وفي الشرفة لمع سطح حمام سباحة.

جلست "كارين" أمام المائدة الصغيرة التي أشارت إليها المرأة في ركن من مطبخ ضخم جيد التجهيزات كان شعر المرأة أسود يتخلله

www.elromancia.com

البياض مما يدل على أنها في حوالي الخامسة والأربعين أو الخمسين من عمرها. وكانت ترتدي بلوزة من القطن قديمة بعض الشيء ولكن كان من الواضح أن المرأة يمكن أن تكون جميلة جدا لو أرادت.

قالت –وهي تضع أمام الشابة طبقا من البيض واللحم المقدد وكأسا من عصير الفواكه–:

– أنا اسمي "هيرا" .. وأنا المسؤولة عن البيت وفي كل صباح ستحصلين على نفس الإفطار الذي يحصل عليه السيد "وارنر" وأنا.

ردت "كارين" –وقد دهشت وسعدت–:

– شكرا!

– وهناك الماء الساخن في الغلاية وأكياس الشاي و"النسكافيه" ،والسكر على المائدة.

استدارت لتعمل بهمة أمام الفرن. على أية حال سواء المساعدة للسيد "وارنر" أو مدبرة المنزل فإن الأخيرة كانت أقلهم ودا. وسارعت "كارين" بتناول الطعام ثم ذهبت لوضع أدوات المائدة في حوض المطبخ. قالت لها "هيرا":

– انتظري!

تساءلت "كارين" هل يجب عليها أن تغسل الأطباق أيضا وتحك الحلل والكاسرولات وأن تزيل الهباب من المدفأة وأن تغسل البلاط؟ قالت المرأة بجفاء:

– إن غذاءك موجود في الكيس بالقرب من الباب.

أخذت "كارين" السندوتش وثمرة الموز التي خصصوهما لغذائها وخرجت وهي منكسة الرأس وهي مثل الطفل غير المرغوب فيه والذي ألقى به والده خارج المنزل مع أمل ألا يراه قبل نزول الليل.

استجمعت شجاعتها وهي تقترب من الموقع المخصص للعمل. كان "جوردان ناش" قد استغرق عامين في إقناع "ڤانسي وارنر" بأن يبيع له

هذه القطعة من الأرض على حافة البحر.

ورغم الصعوبات الفنية الناتجة عن بعد الموقع إلا أنها عملية مثمرة. لقد كانت جزيرة "مولوكي" تجتذب في كل عام المزيد من السياح عاما بعد عام وعملية شغل الأماكن من المتوقع أن تكون رائعة. وكان شريط الأرض المخصصة للفندق بطول شاطئ المحيط ومغطاة بالرمال على مدى الأفق حيث تظهر ضواحي جزيرة "مابو"، وكان هناك شيء محير يتصل بطبيعة الأرض ويزيد من روعتها وهي الأرض الحمراء المزدهرة بالكتل غير المبللة بين أشجار النخيل والعوسج الفضية. دارت "كارين" حول نفسها لتتامل وسط الجزيرة التي تبرز فوق التلال المدهشة.

– ما رأيك؟

واجهت "كارين" حارس "ڤانسي وارنر" الثري وردت عليه:

– هل يهمك حقا أن تعرف رأيي؟

– لا بالتأكيد. إنه مجرد محاولة لبدء الحديث.

كانت عيناه رماديتين مثل السماء والمحيط وشعره ذو اللون الأحمر مثل أرض "مولوكي" يبدو وكأنه صنع من نفس معدن الجزيرة وعناصرها. قالت له بطريقة رسمية:

– هل تتفضل وتنقل إلى السيد "وارنر" شكري على وجبة الإفطار؟

– لقد كانت ضمن العقد.. إنني أفهم الآن لماذا يتمسك السيد "ناش" بأن ياكل رئيس الموقع بعيدا عن الرجال من فريق العمل.

قالت تشرح له:

– لقد وقع الاختيار على رئيس الموقع بعد أن تم توقيع العقد. إن الرجال لا يحبون أن يعيشوا ليل نهار مع رؤسائهم.. فماذا يفعلون لو عاشوا مع رئيسهم باستمرار؟ سيذمونه إذن.

– آه.. نعم. عزلة ووحدة الرئيس!

– لقد تعودت أن أعيش بمفردي ولكني لست منعزلة.

– حتى نتجنب سوء الفهم يجب أن تتعلمي بعض الكلمات من اللهجة المحلية وهكذا فإن "ماكاي" تعني "نحو البحر" و"موكا" تعني الابتعاد عنه..

– على أية حال فإن الحياة فوق جزيرة لابد أن تدفع المرء إلى الذهاب نحو البحر بعد الابتعاد عنه وقل على أية حال في حالة الضرورة كيف أقول "ألقي بنفسك إلى الماء"؟

– الأفضل أن تقدمي المثل عمليا.

في لمح البصر طرح "كارين" أرضا وقال:

– غريب! إن الريح تهب بعيدا عن البحر.

شملت نظراته الرمادية الفتاة وكأنه يداعبها وساد صمت قصير ثم قال الرجل بصوت بارد:

– إن السيد "وارنر" يسعده أن يتعشى معك هذا المساء.

– أتعشم ألا تكون صدمة اللقاء قاتلة!

– يمكن القول إنها كانت قاتلة بالنسبة لبعض النساء.

قالت له تصحح معلوماته:

– إنني أفكر فيه وليس فيك.

انفجر محدثها في عاصفة من الضحك هزت كل جسده ولم تستطع أن تمنع نفسها من أن تحذو حذوه قال لها:

– من الأفضل أن تسرعي بالعودة إلى سكنك يا آنسة "تاليس". هل تحبين أن أشعل لك النيران.

– أنا قادرة على فعل ذلك بل إنني أستطيع أن أقطع كتل الخشب لو اقتضى الأمر ذلك.

قالت ذلك ثم ابتعدت. لم يكف المطر عن الهطل طوال النهار وانتهزت "كارين" الفرصة لتراجع خرائطها. وكانت النيران مستعرة داخل المدفأة بينما ساد الدفء الحجرة.

كان من المفروض أن يصل المهندس المعماري من "هونولولو" "بوب سيتو" في اليوم التالي لآخر مراجعة ثم تبدأ بعد ذلك الأعمال الخاصة بإزالة الأشجار وتمهيد الأرض وسيحتفظ ببعض أشجار النخيل من أجل الحفاظ على جمال المنظر الطبيعي.

لقد علمت من المكالمة التليفونية التي تلقتها من المطار أن أمتعتها لم يتم العثور عليها وكان أقرب محل من مكانها على بعد ساعتين بالسيارة فذهبت لمقابلة "هيرا" وسألتها:

– هل يمكن أن تعيريني بعض الصابون ومعجون الأسنان ولو كان لديك أيضا فرشاة أسنان زيادة؟

أوشكت المرأة أن ترد بأن توفير هذه الأشياء ليس ضمن شروط العقد ولكنها هزت رأسها ،وبعد خمس دقائق ناولت "كارين" كيسا صغيرا وقالت لها –وهي تقاطع سيل الشكر الصادر من الشابة–:

– العشاء في السابعة والنصف.

وبسبب تغيير التوقيت كادت تموت جوعا وهي ذاهبة لتلبية الدعوة على العشاء. قالت "هيرا" معلقة –وهي تحدج إلى بنطلونها المبقع بالطين بنظرة عدم موافقة–:

– إن السيد "وارنر" سيدهش؛ لأنك لست مرتدية ملابس لائقة.

– ردت عليها "كارين":

– ولكن لا يمكن أن تقولي إنني عارية على أية حال.

لو أن هذا التافه "وارنر" أراد التعرف إليها فإنه سيكتفي بالزي الوحيد الذي تملكه الآن. ورغم أنها كانت تحس ببعض الفضول نحو مضيفها إلا أنها لم تسأل شيئا. أما عن سكرتيره الشرس فلا يهمها إن كان موجودا معه أم لا. أدخلتها "هيرا" إلى قاعة فسيحة للطعام. كانت الجدران مغطاة بقشرة من الخشب بلون الفهد عدا الجدار الأمامي

www.elromancia.com

الذي فردت أمامه ستارة ضخمة تغطي دون شك نافذة جدارية زجاجية. بينما تضيء نجفة المائدة التي لاحظت "كارين" وهي مصابة بالخيبة أنه لا توجد عليها سوى أدوات مائدة لشخصين كل واحدة بجوار الثانية ثم أعلن صوت مالوف:

– وهذا هو سيد البيت!

كان الرجل الذي أوشكت أن تصرعه والذي استقبلها أسوأ استقبال ثم جاء ليشعل لها النيران في المدفأة.. باختصار رب الجمال الإغريقي ذو العينين الرماديتين هو الذي دخل الحجرة وسحب المقعد ثم جلس إلى المائدة وسألها:

– هل تريدين أن تتناولي عشاءك وأنت واقفة؟

– "ڤانسي وارنر"؟

– بلحمه وشحمه.

كان لحمه تحت قميصه الحريري الأخضر المفتوح على صدره لا يخفي منه سوى القليل. بدا وكان ملابس "كارين" المكرمشة غير النظيفة قد صدمته ولكنه بدا لها خشنا في طباعه وسوقيا في مسلكه بحيث رفضت أن تعتذر عن مظهرها وملابسها. صاحت –وهي تجلس–:

– ما هذه اللعبة الصبيانية التي تستمتع بها؟ من الواضح أنك لا تحب أن تشغل نفسك بسينما ولا تليفزيون ولا حتى مجلات ولا أي شيء!

– بالأمس وفي المساء كانت لدي أسبابي في التخفي. فمنذ أن بعث الأرض وصحفيو "هونولولو" لا يكفون عن مطاردتي. فضلا عن السياح الذين يتحرون دائما بحثا عن بطاقات بريدية مصورة وعن التذكارات.

– أنا قدمت نفسي لك. وكان عليك أن تحترم وظيفتي.. ولكن مادمت لا تريد أن تتعرض للإزعاج قدر المستطاع فإنني سأسارع بالأكل ثم أنسحب بأسرع ما يمكن.

كانت جائعة فهجمت على السلطة في الحال. سألها مضيفها وهو

يراقبها وهي تأكل وفي عينيه بريق من المكر–:

– هل في رأيك من الواجب علي أن أعتذر؟

– أليس هذا هو رأيك؟

تأمل طبقها ثم طعامها ثم وجهها وقال:

– حسنا.. وما رأيك في أن نعقد هدنة؟

لم يكن هذا اعتذارا وإن كانت لهجته تدل على الاعتذار: اعترفت وهي تبتسم:

– موافقة.

– إذن قولي لي ما الذي تفعله فتاة جميلة مثلك في هذه المهنة؟

– أخبرني أنت أولا كيف أصبحت سيد هذا المكان؟

– القصة موجزة.. لقد ورثت كل هذه الأراضي.

قالت –وهي تعتقد أنها تجامله–:

– الأمر بالتأكيد ليس من السهل إدارة مثل هذه المملكة بكل اتساعها.

تجهم وجهه ثم أجاب:

– بالضبط لدي مشاكل ولهذا السبب أنت هنا.

– أرجو أن تسامحني لأنني لم أكن أريد أن أجرحك.

– حسنا.. كل عليه الدور.. والآن حان دورك.

– حسنا.. بطريقة ما أنا وريثة. لقد كان والدي ينشئ الكباري وخطوط الأنابيب ومراكز كهربائية وأحياء بكاملها لإسكان الأشخاص المبعدين عن أوطانهم. وأمي ماتت بعد مولدي بقليل وعشت السنوات الأولى من عمري عند إحدى عماتي في "مينيسوتا". وكان والدي يحاول ألا يبتعد عني كثيرا وكان يعود باستمرار لرؤيتي. وعندما بلغت الرابعة من عمري وجد أنني كبرت بما يسمح لي بأن أتبعه في رحلاته وقد تجولنا في الولايات المتحدة من

"نيواورليانز" إلى "أنشوراج". وما دمت لم أنته من دراستي الثانوية فإنه رفض الوظائف في الخارج ولكني ترددت على أكثر من عشرين كلية مختلفة فضلا عن الفترات التي اضطررت فيها للعمل بمفردي. وكنت في الجامعة عندما اختطف المتمردون في "أمريكا الوسطى" أبي. ووافقت الشركة على أن تدفع فدية له ولكنهم قتلوه مع ذلك.

ورغم أن "كارين" لم تحذف أي أحداث مؤلمة ومثيرة للذكريات إلا أنها كانت متمالكة لنفسها. قال لها:

– هكذا إذن اهتممت بهذه المهنة؟

– لقد حصلت على دبلومة في الأشغال العامة ولكن تدريبي تم عن طريق متابعتي لوالدي في كل مواقع العمل أكثر مما تلقيته في الجامعة ،لقد صحبني إلى كل مكان وشرح لي كل شيء ،وكانت لعبي هي قطع من الحديد والقرميد. وكنت أتظاهر بأنني أساعده ولكني أتصور أنني كنت عبئا صغيرا عليه.

أدركت أنها تكشف عن مكنوناتها أكثر مما تعودت فحولت الحديث إلى موضوعات أقل خصوصية حول الجو والمطبخ غير الأمريكي. والرحلة. عندما أنهت شرائح الأناناس وجدت "كارين" نفسها مضطرة لأن تعترف لنفسها بأن "ڤانسي وارنر" رجل جذاب وساحر. وهو ما اعترفت به فيما بعد وهي تشعر ببعض الخطأ والذنب وإن أحست أيضا بأن الوضع مثير للمزاح. وفي الحقيقة إذا كانت النساء لا يستطعن حقا مقاومته فإن "كارين تاليس" هي الشاذة عن هذه القاعدة.

أما بالنسبة له فهو وإن كان يلتهمها بعينيه فإن عليها أن تتذكر انه يعيش محروما من النساء وأن عليها ألا تثيره. قال بعد الوجبة مقترحا عليها:

– هل أصحبك؟

وضع ذراعه على كتفيها ومال برأسه وأراد أن يقبلها. من أين

تأتيها الشجاعة كي ترفض هذا الوجه الساحر؟ ردت عليه:

– لا داعي لأنني لا أريد أن أغامر بأن أصبح صاحبة مزعجة.

تبادلا تحية المساء على مضض وعادت "كارين" إلى مقر إقامتها حيث استأنفت غسل ملابسها وكان الطين الأحمر قد صبغ القماش والنتيجة أن الغسيل كان غير مرض. وإذا لم يعثروا على أمتعتها الضائعة في اليوم التالي فإنه يلزمها بالضرورة وبإلحاح الذهاب للقيام بالشراء من بلدة "كوناكاكي".

وأثناء قيامها بنشر غسيلها المبتل سمعت طرقا على الباب. لفت نفسها في بشكير كبير وواربت الباب. كان "ڤانسي" واقفا على العتبة.

قالت له –وهي تعيد إغلاق الباب–:

– دقيقة واحدة من فضلك!

عقدت المنشفة على رأسها مثل العمامة الهندية ثم سمحت للشاب بالدخول وهمس وهو يلتهمها بعينيه:

– رائعة!

ثم لاحظ أن نيران المدفأة مطفأة فقال:

– سأذهب لإحضار الخشب.

خرج ثانية قبل أن يتاح لـ"كارين" الوقت لتسأله عم يريد. وبعد خمس دقائق عاد ومعه سلة ممتلئة بقطع الخشب في كل يد وقال:

– لقد ظننت أنك ستنتهزين فرصة غيابي لإحضار الخشب لترتدي شيئا على الأقل.. شيئا آخر!

قصت عليه "كارين" سوء حظها في ضياع حقيبتها فصاح –وهو يضحك–:

– وأنا الذي ظننت أنك ترتدين نفس الملابس حتى تبدي أقل إغراء!

– وأراهن أنك فكرت في أن تصحبني إلى المدينة وتوكلني إلى

أيدي الخبراء الذين سيزينوني ويمشطون شعري حسب آخر صيحة ويجعلوني أرتدي أفخر الثياب الجديدة. كل ذلك حتى تعيدني إلى فتاة الأحلام العاجزة عن إدارة موقع عملها؛ لأنها تصرع كل الرجال وتجعلهم يكفون عن العمل عند مرورها عليهم.

– لقد فكرت في ذلك حقا ولكنك لست في حاجة إلى كل ما قلته حتى تصبحي سببا في قلب كيان الجميع.

كان يقول لها ذلك بلهجة لا يشوبها أي مزاح فسألته –بعد صمت مقتضب–:

– ماذا تريد؟

– لقد فقدت هذه الورقة.

– أوه.. فعلا.. لابد أنها سقطت من جيبي.

– وأنا الذي كنت آمل أن تكوني قد أسقطتها عمدا.

صاحت –وهي مذهولة–:

– حتى أجتذبك إلى هنا؟

كان يعجبها وهي لا تستطيع أن تنكر ذلك ولكنها لا تفكر في أن يظنها خادعة ولا تحب أيضا أن يخدعها أو تخدع نفسها. أضافت:

– هذه ليست طبيعتي.. أنا صريحة جدا لا أعرف كيف أخدع أو بالأحرى ساذجة جدا.. لو شئت.

قال –وهو يقترب منها ويمسك بيدها–:

– ليس هذا ما عنيته ولا استخدمت هذه الكلمات.

أخذت أصابعه تلمس رقبتها وهي تمدد ذقنها ثم تهبط إلى الحلق وتتوقف عند بداية الصدر عند فتحة البشكير. أحست بالتهاب بشرتها وبأن ساقيها ترتجفان وأخذت "كارين" يائسة تبحث عن القوة لتدفعه بعيدا عنها.

جذبها "ڤانسي" نحوه ومال رأسها على كتفه واستقرت شفتاه على

شفتيها في رقة ولكنه ابتعد في الحال وأخذ يتأملها.. كان ما قرأه في عينيها يشجعه على الاستمرار ولكنها وجدت بعض الشجاعة لتقاوم، قالت في نفسها: إنها إذا لم تبتعد عنه في الحال فإن الأوان سيفوت. تصلب جسدها وقالت:

– أنا يا "ڤانسي" لن أبقى هنا سوى شهور.

– أعرف.. هل هذا سبب لأن تتراجعي؟

قالت –وهي تتلعثم–:

– لست أدري.. لم أعد أعرف.

ربت على رأسها ثم ابتعد:

– تصبحين على خير يا "كارين".

تساءلت –وهي تذرع الحجرة–:

– كم مرة ستسمع هذه الكلمات الثلاث مرارا وتكرارا؟

ربما كانت بضعة أشهر طويلة جدا وقصيرة جدا في آن واحد.. إن مهنتها لها الأولوية القصوى، وهذا الاختيار اتخذته منذ صغرها وحتى اليوم، ولم يكن من الصعب جدا عليها احترامه والتمسك به، وبعض المغازلات مع بعض الطلبة كانت بلا عواقب.

ثم قابلت "بين" وهو زميل في شركة "إيمو ڤاكانسي" وبعد عدة أشهر من علاقة ناعمة ورقيقة إلى حد ما قررا معا أنهما لم يخلقا للزواج وأن الصداقة تناسبهما هذا أفضل، ورحل "بين" لمراقبة موضع عمل في "ستغافورة".

ما الذي سيحدث لو أن الشاب "ڤانسي وارنر" قد أيقظ عندها تلك العواطف المقلقة؟

مالم يكن السبب في ذلك هو الريح. فقد قرأت في يوم ما مقالا علميا حول تأثير الجو والطقس على التصرفات والسلوك الإنساني. إن النظرية الافتراضية مثيرة للاهتمام ولكنها لن تساعدها على العثور على النعاس في سريرها الضخم جدا.

www.elromancia.com

الفصل الثالث

ارتدت "كارين" ملابسها التي لاتزال رطبة وأدركت في سرور أن الشمس تسطع وأن الرياح هدأت. وأن ساعة الإفطار مرت وأنها حتى لا تزعج "هيرا" لم تطلب منها سوى شريحتين من الخبز.

وحوالي الساعة التاسعة سمعت صوت هدير طائرة صغيرة فاتجهت إلى المهبط المخصص لشركة "إيموڤاكانسي" والذي حصلت على الإذن باستخدامه.

تعرفت "كارين" إلى الطائرة "سيسنا" ثم إلى الطيار "مايك أوريلي" الذي سبق أن أنزلها على الجزيرة منذ يومين. قالت له:

– لم أكن أتوقع أن أراك ثانية بهذه السرعة.

قال –بصوت مرتفع يعلو على صوت هدير الطائرة–:

– ولا أنا كذلك.. ولكني في شدة السعادة.

اقتربت لتحيي "بوب سيتو" المهندس الياباني الأصل الذي يحاول التخلص من مقعده داخل الطائرة.

فقالت لهما:

– إن الأرض موحلة.

فرد عليها المهندس المعماري وهو يخرج قدمه من مقصورة الطائرة:

– انظري! لقد ارتديت حذائي البوت.

وكان أيضا قد بدل حلته الراقية بملابس رياضية مناسبة جدا للمكان والجو. سأل –وهم يتجهون إلى مكان العمل–:

– كيف حدث أن عرفت "مايك"؟

ردت عليه:

– إنه فارسي الذي استطاع –وهو على متن "سيسنا" البيضاء– أن

يتحدى العاصفة.

شرح "مايك" قائلا:

– عندما أنزلت "كارين" من يومين كانت الرياح أسوأ من اليوم.

قال "بوب":

– إنه بسبب هبات الرياح العنيفة. من حين لآخر سميت "مولوكي" بالجزيرة المنسية. وكانت السفن ذات الشراع نادرا ما ترسو عليها. وقد تغلبت السفن على تلك الصعوبات بفضل المحركات.

قال "مايك":

– والنظرية الأخرى الافتراضية هي أن "الكاهونا" أي كهنة هاواي كانوا يمنعون أي شخص من دخول الجزيرة.

قالت "كارين" بلهجة جادة أدهشت زميليها:

– إن التفسيرين يمكن أن يتفقا معا وربما كانت الأرواح الشريرة لاتزال تظهر في صورة تلك الهبات الغاضبة من الرياح. وفي تلك الليلة التي أنزلني فيها "مايك" وبدت وكأنها مصرة على منعي من دخول الجزيرة.

قال "مايك":

– إنهم يسمونها الآن جزيرة "الصداقة".

قالت "كارين" متهكمة:

– هذه أيضا أحد اكتشافات الفرقة التجارية كنوع من الدعاية. وأحيانا ما يخطئ الموظفون..

قال "بوب" معلقا:

– لا شك أن طائرة الخط تقلل من خطورة الريح.

قصت "كارين" عليه كيف أنها لم تلحق بالطائرة المنتظمة ثم رحلتها المليئة بالمفاجآت، والإثارة مع "مايك"، والطريق البري الطويل الذي تبعته.

www.elromancia.com

قال "مايك" معترفا:

– لقد كنت قلقا بعض الشيء من تركك تتصرفين بمفردك وتصورت أن كل حقائبك قد اتخذت وجهة أخرى.

نظر إليها في دهشة فقالت معترفة:

– يجب أن أذهب لإجراء بعض التسوق.

قال "مايك" محذرا:

– إنك لن تجدي شيئا كثيرا في "كوناكاكي" وإذا قررت الذهاب لقضاء نهار في "هونولولو" فإنه يسعدني أن أنقلك بالطائرة.

كان بعض أعضاء الفريق قد وصلوا إلى موقع العمل وكانوا في انتظارهم. قدم "بوب" لـ"كارين" الرجل المفروض أن يكون مساعدا لها واسمه "جون أوميشي" والذي قدم لها بدوره العمال الموجودين. قضوا بعد ذلك ساعتين في التجول في الموقع ووضع نظام لكل المشاكل المعروضة ذات الصبغة الفنية.

وعندما افترقوا كان عمل ممتاز قد تم. استعدت "كارين" لركوب سيارتها "التويوتا" عندما صاح "مايك":

– انتظري دقيقة! أليست لديك نية الذهاب إلى المدينة هناك بهذه السيارة؟ انظري!

ثم ركل أحد الإطارات فوجدت أنه فارغ تماما قالت له:

– لا توجد مشكلة.. أعرف كيف أبدل الإطار.

– إن الإطارات الأربعة في نفس الحالة.. لقد شقت كلها بالسكين.

ذهلت "كارين" عندما رأت الواقع. لم تتصور أبدا أن "ڤانسي" بعد أن رفضته قد اندفع وفعل مثل هذا التصرف الصبياني! هل هم عمال الزراعة الذين فعلوا ذلك؟ ربما كانوا غير عدوانيين ولكنهم لم يظهروا ترحيبا بها.

– من استطاع أن..؟

قال "مايك" مقترحا –وهو غير مقتنع تماما–:

– ربما بعض الصبية.

ألقى نظرة على ساعة يده ثم قال:

– سأوصلك إلى المطار وستجدين هناك سيارة أجرة تنقلك إلى "كوناكاكي". وما إن أصحب "بوب" إلى "هونولولو" سأعود إلى "مولوكي". حتى أشتري لك أربعة إطارات جديدة وسألقاك في المدينة، وبعد ذلك نعود إلى هنا ومعك إطاراتك وثيابك وأحذيتك وكل ما تريدين.. اتفقنا؟

قبلت في الحال.. إن صحبة "مايك" ممتعة ولدى "إيمو ڤاكانسي" الوسائل والإمكانات لدفع تكاليف الرحلة بطائرة "سيسنا".

لم تستغرق الرحلة سوى نصف الساعة. سألت "كارين" – وهي تهبط من الطائرة–:

– أين ومتى نلتقي؟

– إنها مدينة صغيرة وسأعثر عليك بسهولة. بعد ساعتين تقريبا.

ما إن وصلت إلى المحطة الجوية حتى أقلعت الطائرة "السيسنا". وقام سائق السيارة الأجرة حسب تعليماتها بإنزالها في وسط مجموعة منازل في وسط المدينة.

كانت "كوناكاكي" بواجهات منازلها التي تبدو وكأن من الصعب اختراقها، تذكرها بديكورات الغرب الأمريكي، ولكن نظرا للطلاء البالي والمتشقق فإنها تشبه بعض الأنقاض في أفلام السينما.

تجولت "كارين" أمام واجهات المحلات: فواكه وخضراوات وحلل طعام وكاسرولات وملابس مكومة فوق منصات متشابهة مغطاة بالتراب. بدا أحد الحوانيت أكثر تجهيزا وقررت "كارين" دخوله. وبما أنها الزبونة الوحيدة فإن الموظف تركها تتصرف على راحتها.

www.elromancia.com

وبعد التفتيش استطاعت أن تجد بعض البياضات وبنطلونين من الجينز الأزرق وثلاث بلوزات وأضافت إليهم ثوبا طويلا عليه نقوش بلونين برتقالي ووردي لم تكن في حاجة إليه على الإطلاق.

أشارت لها البائعة دون أن تتكلم إلى مقصورة تجريب الملابس وقياسها. دارت "كارين" خلف كبينة التليفون وكومة من الدلاء والمكانس وخرجت بعد ذلك جديدة تماما.

سألت وهي تدفع:

– هل هناك مخزن أدوية قريب؟

أشارت المرأة بيد غير مهتمة إلى جهة وقالت:

– من هنا!

خرجت "كارين" وعبرت الشارع في حذر. لم تكن هناك أية إشارات للمرور به وإنما مجموعة من الناس. صاح فيها صوت رجل:

– انتظري!

قالت في نفسها ما الذي يريده؟ هل يقودها إلى السجن؟ أو يضربها بالرصاص؟ استدارت ثم ابتسمت وهي ترى "مايك" يجري بقفزات واسعة صاحت:

– هكذا عدت بسرعة؟

– الطريق إلى "هونولولو" يستغرق أقل من نصف ساعة طيران. لقد استعرت سيارة من أحد أصدقائي من الموقع وهأنذا!

– صديق من الموقع؟ هذا بالضبط ما ينقصنا هنا لو أن العمل لا يسير على ما يرام ففكر في تنظيم خدمات لموقع الأصدقاء.

أمسك "مايك" بيد "كارين" وأخذ الحقيبة التي تحملها باليد الأخرى وقال برقة:

– هذا هو الصديق! ما رأيك في وجبة دسمة؟

– لقد رأيت مطعما هناك بعد الناصية.

– سأريك أسرار "مولوكي". اصعدي معي فوق هذه الألواح الخشبية.

أشار إلى رصيف من الخشب غير المثبت جيدا، قالت:

– لقد قالوا لي عن مدن فيها يضمون الأرصفة للجدران أثناء الليل. وهنا لدي إحساس بانهم يفردونها لغرض آخر مثل موائد الكي وموائد المطبخ.. لست أدري.. هل هناك خدعة فيها وهل يمكن أن يتعثر المرء فوقها؟

ضغط "مايك" على يدها ليطمئنها ثم قال فجأة:

– لقد وصلنا إلى "أوبرج منتصف الليل".

كان الزجاج معتما لا يسمح للمارة برؤية ما بالداخل ويجعلهم يتخيلون ما يقدم. قالت ساخرة:

– منتصف الليل ومفتوح في هذه الساعة الصباحية؟

– بالتأكيد ويغلق في المساء وليس كما يشير الاسم هيا تعالي!

دفع الباب وهبت روائح شهية تداعب أنفها. كان الزبائن من سائقي السيارات الذين يتعاركون عند دخولهم. جلسا تتبعهما النظرات الباردة كالثلج إلى مائدة صغيرة. وكانت العدوانية واضحة لدرجة أن "كارين" لم تمنع نفسها من الارتجاف. ما الذي جاء بها إذن إلى هذا الملهى الممنوع على السياح ارتياده؟ أو ممنوع على النساء؟ وما عدا فتاة آسيوية فاتنة جالسة بمفردها في ركن من القاعة لا يوجد سوى الرجال. سألت بصوت منخفض:

– هل هم دائما هكذا مع الغرباء؟ أو الغريبات؟

تردد قبل أن يرد:

– ليس باستمرار.. لقد ربحت الجائزة الكبرى.

– ولكن لماذا؟

– إن الناس الذين بقوا على الجزيرة أو الذين أتوا ليستقروا عليها

www.elromancia.com

يرغبون بصفة عامة في أن تظل على ما هي عليه. إنهم يخشون أن تصبح مثل بقية جزر "هاواي" بجموع السياح وكتل العمارات والفنادق والمحلات. وربما كان هذا هو السبب في تفريغ إطارات سيارتك.

قالت -وقد أحست بالارتياح لأنها لم تعد تشك في "قانسي"-:

- لقد اعتبروني إذن كمقدمة للغزو.

- أنت تمثلين المشروع المعماري.

- رغم أن العديد منهم يعانون البطالة أو نقصا في النقود في الاقتصاد المحلي إلا أنهم يطلبون أن يدعوهم في هدوء.

دخل شخص ما وراءها مما أثار الترحيب الحار من الموجودين. استدارت ورأت "قانسي وارنر" يصافح الأكف الممدودة إليه. تظاهرت بانها لم تتعرف إليه واستدارت نحو "مايك".

انتقل "قانسي" من مائدة لأخرى يتبادل كلمة هنا وأخرى هناك. بينما هي تثبت نظرها للأمام، تصلب جسدها ثم أحست به يقترب.. هل تعرف إليها؟ قال:

- مساء الخير يا آنسة "تاليس".

احمر وجهها وتلعثمت برد التحية بطريقة آلية بينما قفز "مايك" على قدميه قال يقدم نفسه:

- "مايك أوريلي" لقد سبق لنا أن التقينا. إن لدي شركة صغيرة للنقل في "هونولولو".

فهمت "كارين" أن عليها أن تظل منتبهة دائما حتى تستطيع الصراع ضد المنافسة. قال لـ"مايك":

- كم يسعدني أن أتحدث معك عن الطيران في يوم من الأيام ولكني اليوم عندي طائرتي البرمائية الخاصة بي.

- لقد رأيت مرساها والسقيفة بجوارها.

قاطعه "قانسي" بلهجة باردة:

- أرجو المعذرة. وأتعشم أن نتعشى معا قريبا يا آنسة.

ثم اتجه نحو الشابة الآسيوية الفاتنة التي نهضت عند اقترابه منها. وتبادلا القبلات في حنان ثم جلسا معا. عزت "كارين" تصرفه المتباعد إلى وجود تلك المخلوقة الفاتنة وإلى بقية الزبائن أنه يريد أن يعلن في أرضه.. ضدها.

ودت لو هربت والا تظل بعد ذلك تحت عيني الثنائي اللذان يرتبطان بعاطفة حب قوية وعميقة وواضحة، ولكن "قانسي" سيشعر بالرضا التام لو فعلت وهي لا تطيق ذلك فظلت متماسكة في مكانها. سألت "مايك":

- لماذا يظل الناس باردين معي ومرحبين جدا به؟ وإذا كنت موجودة هنا فإن ذلك لأنه باع لنا الأرض. إنه غني وذو نفوذ.. هل هذا يؤثر فيه فيتملقونه؟

- هذا ممكن. أو أنهم فهموا أنه اضطر للبيع.

- اضطر؟ إن أحدا لم يهدده أو يعتدي عليه.

- إن الكساد هو السبب.. إن استثماراته في الأناناس لم تكن مجزية.. وقد حدث إلغاء لبعض الصفقات والاستغناء عن بعض العاملين وهذا أمر لم يحدث لدى آل "وارنر" فقط. ورغم مشاكله النقدية فقد حاول أن يحتفظ بموظفيه القدامى وقد حمدوا له ذلك.

قص "مايك" كيف أنه بعد الحرب في "فيتنام" حيث كان طيار "هليوكوبتر" عمل لسنوات طويلة لدى شركة طيران، ثم أنشأ مشروعه الخاص في النقل بطائرات "الشارتر" العارضة بين الجزر.

أبدت "كارين" اهتماما شديدا بهذا الملخص عن تاريخ حياته، وكانت أنظارها من حين لآخر تتوجه باختصار نحو المائدة المجاورة. بدا وكأن "قانسي" ورفيقته منهمكان في حديثهما. ومرة واحدة

فقط التقت عينا الشاب بعيني "كارين" هل كان يراقبها؟ حسنا.

كانت الوجبة بسيطة ومغذية مكونة من لحم بقري مشوي وبطاطس مقلية وسلطة خضراء وإن لم تكن غير عادية أو فريدة. كان الشاب الجالس أمامها وكذلك "ڤانسي وارنر" يمثلان الغرابة عن الحياة الأمريكية خاصة "ڤانسي" ولكن كيف تقارن ما بين رجل وطعام؟

استردت نفسها وابتسمت لـ"مايك" الذي حاول أن يجعلها تبتسم وأن تتحدث عن نفسها. قصت عليه طفولتها ودراساتها وتجاربها المهنية الأولى. قالت:

– لقد كان "جوردان ناش" ووالدي صديقين قبل أن ينشأ مشروعهما فقد كان الاثنان مهندسين في البحرية. وقد أولاني "جوردان" ثقته منذ البداية ولكن مشروع "مولوكي" كان أول مهمة أوكلت إلي وقد واجهت صعوبة في الحصول عليها .في البداية أرادا إرسالي إلى "سنغافورة" لأشرف على نهاية مشروع.

كانت "كارين" قد حصلت على الوظيفة بدلا من "بين" الرجل الذي أوشكت أن تتزوجه ولكن تلك المنافسة لم تضف أي دور في عدم زواجهما.

رفعت صوتها وأضافت:

– إن مشروع "مولوكي" سيقام على الأرض الطبيعية ويتكون من مبنيين من ثلاثة طوابق تحتوي على ستين شقة يقوم الملاك بتأجيرها في الوقت الذي لا يشغلونها فيه. وفي مبنى آخر مكون من ثلاثة طوابق توجد ستون حجرة وأماكن الخدمة.

كانت الأحاديث حولهما قد كفت فاستأنفت "كارين" الحديث وسط سكون:

– وعلى مسافة لا بأس بها بين كل منهما فإن المبنيين الصغيرين سيكونان على شكل حرف "V" في مواجهة المحيط، والمبنى الثالث

سيكون متواريا عنهما بعض الشيء ،ويطل أيضا على البحر. وستكون هناك ملاعب للتنس وحمام سباحة و"بولينج" وموائد "بنج بونج" وملعب لممارسة "الجولف".

كان "جوردان ناش" يأمل في إقناع "ڤانسي" بان يبيع له شريحة من الأرض لينشئ مضمار سباق له ثمانية عشر حارة.

صاح "مايك":

– هذا ما سيجذب السياح إلى شركتي وكذلك الاقتصاد المحلي ويدفعهما إلى الأمام.

– وسيخلق فرص عمل أثناء العمل وبعده.

في هذه اللحظة أصدر جهاز "البيجر" الخاص بـ"مايك" طنينا فقال:

– أرجو المعذرة فعلي أن أتصل هاتفيا بـ"هونولولو".

نهض وذهب ليرفع سماعة التليفون الموجود فوق بنك الحساب. ورأته "كارين" يتحدث ، ثم بعد أن وضع السماعة اقترب من "ڤانسي" وتبادلا بعض الكلمات ، ثم اتجهت أنظارهما نحوها وسألها "مايك":

– هل يمكن أن تتفضلي بالحضور إلى هنا؟

انضمت إليهما وقلبها ينبض بشدة. قال "مايك":

– أنا آسف لأنني مضطر لأن أتركك فلدي عمل لمدة ثلاثة أيام كاملة ولكن يجب أن أكون في "هونولولو" خلال ساعة. إن "ڤانسي" سيعيدك في شاحنته الصغيرة.

ستقضي ساعتين في الطريق مع "ڤانسي" وهي تحاول جاهدة أن تتجنبه ،وهو أيضا من ناحيته بدا غير سعيد. قالت:

– لا.. سأقوم باستئجار سيارة أخرى.

صاح "مايك":

www.elromancia.com

– وتدفعين أجر السيارة.. لو أن شركتك لديها الكثير من الأموال فعليها أن تنفقها على هؤلاء الذين يحتاجون إليها. وعلى أية حال سأستأنف طريق العودة بعد ساعتين بعد أن أسوي مصالحي.

تساءلت.. سيقضي ساعتين بطولهما مع تلك المخلوقة الرائعة التي تجلس في مواجهتها فهل هذا ما يسمى تسوية مصالحه؟ قام "ڤانسي" بعملية التعارف بين الشابتين.

– "كارين تاليس".. "تامي ناكامورا" إنها "تامي" "تامي" تعمل مضيفة جوية في خطوط "ترانس جلوبال" وتجوب العالم باكمله.

أضافت الشابة الآسيوية:

– إنني أعود إلى "مولوكي" كلما أتيحت لي الفرصة إذن أنت التي ستقومين بالإشراف على الأعمال؟ إنه عمل شاق وقاس ولابد أنك كثيرا ما تشعرين بالوحدة في هذا المحيط المقصور تماما على الرجال ،وأتعشم أن نتقابل من حين لآخر لنتحدث حديث النساء.

ردت "كارين" –وهي تشعر بالارتباك–:

– أتعشم ذلك أنا أيضا.

كان مزيج من العواطف يتفاعل داخلها من الغيرة والعرفان بالجميل أمام ما أبدته الأخرى من علامات الصداقة.. وهي أول علامات ود أظهرها لها أحد منذ وصولها وأيضا مشاعر الغضب من "ڤانسي" والذي ينتقل دون خجل من بين ذراعي امرأة إلى أخرى. وإذا كان يظن أنه سيستغل مشوار العودة فهو واهم. إنها لن توليه بعد الآن أي اهتمام أكثر مما يمكن أن توليه لسائق سيارة أجرة.قالت له في النهاية:

– بعد ساعتين؟ أنا موافقة.

نقل الطيار "مايك" الإطارات الجديدة إلى الشاحنة الصغيرة الخاصة بـ"ڤانسي" وتابعت "كارين" عملية الشراء. اشترت جهاز تسخين الطعام الكهربائي ومقلاة وكسرولة وطبقين وأدوات مائدة ومفارش

ومناشف مائدة باختصار ما يمكنها من تجهيز مطبخ صغير. وبهذه الطريقة تستطيع أن تقلل قدر المستطاع من زياراتها إلى البيت الكبير، إن "ڤانسي" يمارس عليها جاذبية غريبة تجعلها تحس بانه يجب عليها ألا تثق به.

كانت "كارين" –وهي تتمشى وتتجول بين الحوانيت– تحس إحساسا بأنها "جاليفر" في بلاد الأقزام حيث كان الأهالي والمنازل والكلاب وكل شيء يبدو وكأنه صنع بحجم مختصر. حتى عربات البقالة التي يستخدمها الزبائن في وضع مشترياتهم كانت تجد صعوبة في السير بها والمناورة نظرا لضيق الممرات داخل المحلات.

وعلى الأرفف كانت مختلف الحضارات تتعايش من شيبسي القمح مع شيبسي البطاطس وعلب التونة وعلب الماكريل والسردين ، وأسماك في أكياس السوليفان لاتزال السنارة في خياشيمها. ووجدت أيضا المانجو والمشمش والجريب فروت والموز ومنتجات أخرى لا تستطيع "كارين" التعرف عليها. أخذت بعض المؤن التي يسهل إعدادها وذهبت إلى الشاحنة الصغيرة رغم أنه تبقى على موعدها مع "ڤانسي" نصف الساعة كان عليها أن تنتظره خلالها.

قال لها –وهو يحمل عنها حمولتها–:

– ألا يعجبك طهي "هيرا"؟

– بل يعجبني. ولكن عندما تبدأ الأعمال لن يكون لدي باستمرار إمكان أن أجد وقت فراغ ساعة الطعام وساخبر "هيرا" وقتها.

لم يعترض ولكن عينيه غامتا من التجهم. سارا بالشاحنة بضع دقائق في صمت محرج. لعنت "كارين" الاضطراب المتصاعد الذي بدأ يتولد عندها نتيجة قربها من الشاب.

قالت –وفمها جاف–:

– أتعشم ألا تكون قد عدلت من خططك حتى تصحبني. أنا لم

www.elromancia.com

أنس أن السيد "وارنر" لايريد أن تزعجه مشروعات "إيموڤاكانسي".

– ينزعج؟ فعلا أنا منزعج.

احتجت قائلة:

– أنا لم أطلب منك أن تصحبني!

– ليس هذا ما ألمح إليه.

– إن بضع لحظات مع الحسناء الفاتنة "تامي" لاشك أنها راحة عظيمة.

دهشت هي نفسها من هذا الكلام ورد عليها:

– الحقيقة أن المرء لا يشعر بالملل أبدا مع "تامي".

مرت نصف الساعة التالية في صمت مثلج ثم صاحت "كارين" فجأة:

– أوه.. هل يمكنك التوقف؟

لقد تعرفت على الكنيسة الصغيرة البيضاء التي بدت مثل الفنار الذي يخترق ظلمة الليل والتي منحتها الشجاعة لتستمر في الطريق في أول رحلة لها عند وصولها إلى الجزيرة. وقف "ڤانسي" بعنف بعد أن ضرب عجلة القيادة. قال شارحا:

– إنها إحدى الكنائس التي أنشأها الأب "دميان" ولقد كان ذلك القس البلجيكي هو أول من اهتم بمرض البرص الذي انتشر في "كالوبابا" على الجانب الآخر من الجزيرة وانتهى به الأمر بأن أصابته عدوى المرض. قالت "كارين":

– أنا أعرف هذه القصة ولدي نية أن أذهب إلى هناك في جولة سياحية. وساطلب من "مايك" أن يقودني إليها.

أضافت العبارة الأخيرة حتى لا يعتقد "ڤانسي" أنها تلمح إلى أن يقوم هو باصطحابها.

بدت المنشأة ذات العمارة الكلاسيكية القديمة جدا وكأنها نقلت

من مكان في "نيو إنجلاند" وزرعت في هذا المكان. شكرته "كارين" بهزة من رأسها ثم صعدت إلى داخل السيارة.

كان شرحه للمعالم السياحية والأثرية قد جعل الجو يسترخي بينهما.. وقد شرح لها التاريخ والفنار وأسواق الجزيرة التي كان "ڤانسي" يعرفها عن ظهر قلب. وقد أثرت معلوماته الحديث وجعلته مسليا.

وكان الطريق بمطباته ومنحنياته وارتفاعاته وطراوة الطين مما جعله طريقا مليئا بالنزوات غير المتوقعة الأمر الذي كان يضطر السائق إلى السير في خط متعرج مثل الزجزاج. وتقابل مع فريق من الشاحنات التي تقطع الطريق دون أن تهتم بمن خلفها أو أمامها. وكانت "كارين" قد تعودت على نزوات الطريق حتى إنها لم تهتم.

وعلى جانب الطريق كانت هناك التلال والهضاب وأكوام الرمال تبدو منتظمة مثل حبات اللؤلؤ في العقد وتحيط بالجزيرة وعلى حوافها كتل من حمم البراكين والبرك الصناعية من ماء البحر تستخدم كمزارع للأسماك قال "ڤانسي" شارحا:

– إن الأهالي هنا يلقون فيها بالزريعة الصغيرة ويربونها مثل تربية الماشية.

ثم أشار إلى البطاقات البريدية المصورة التي وضعتها على ركبتيها وسألها:

– هل هذه من أجل الأصدقاء؟

ردت:

– نعم.

– رجال أم نساء؟

– الاثنين.

كانت ستكتب لعمتها العجوز وإلى ابن عمها "جو" وإلى "بين"

www.elromancia.com

وإلى صديقتين من أيام الجامعة ، ولكنها فضلت أن تكون غامضة. وحتى لا يتصور أنها خالية وفي متناول اليد وحتى أيضا لا يجعلها تنسى أحدا.

ارتجفت عندما فكرت أنها كانت من الممكن أن تحب "بين". إن ما أيقظه "فانسي" داخلها لا حدود له ولا قياس لمثله ولكن أحدا لن يعرفه. سألها:

– وماذا ستقولين لهم عن "مولوكي"؟

– إنه التناقض الحي.

ذكرت من باب الجدال تناقض المناظر الطبيعية والطرق المقطوعة وغير الممهدة ومحلات البقالة التي تبيع الملابس والتوابل والخضراوات والكنيسة الكاثوليكية والأخرى اللوثرية والبروسيتارية التي تقدم خدماتها المتوالية التي تبعد عشرات الأمتار كل منها عن الأخرى على طول الطريق. وملهى منتصف الليل الذي يغلق أبوابه في المساء ، وتاج السحب الذي يحيط في إزعاج بقمم التلال بينما الشمس الساطعة تضيء الشاطئ ،وجزيرة اسمها "الوحدة" يعود اسمها إلى الصداقة.

استبعدت من أسباب التناقض ذكر الرجل الذي استقبلها في وحشة والذي خشي بعد ذلك أن تصاب بالبرد وأخذها بين ذراعيه ، ثم قضى ما بعد الظهر مع امرأة مجهولة وساحرة، والذي كان يبدو أحيانا أنه مهتم بـ"كارين" ثم يتغير فجأة ويختفي بعد أن يبدي تحفظا مهينا. بل هي نفسها نوع من التناقض؛ لأنها منجذبة إلى "فانسي" وفي نفس الوقت ترفض أن تستسلم لنزواتها.

إنها تريد أن تتعرف إليه وترفض أن ترتبط به. لقد اختارت مهنة تسمح لها بأن تجوب العالم وتخشى في نفس الوقت اليوم الذي يجب عليها أن تترك وظيفتها الأولى.

إنهما –هي وهو– من نفس المعدن.. إنهما أعزبان متمسكان بنمط من الحياة اختاراه لنفسيهما ،ومع ذلك فهما مثل بقية الناس ضعيفان وهشان.

عرفت حدود أملاكه ببراريها حيث تعيش قطعان البقر. والأشجار العارية من الأوراق على حافة النهر والتي تبدو وكأنها محفورة من الأحجار. والأبقار والعمال الذين ينقلون العلف ويوزعونه بحيث لا يصبح بعضها سمينا أكثر من اللازم والبعض نحيفا. وكانت هذه الصورة المتناقضة قد جعلتها تبتسم.

وكان نفس التناقض موجودا لدى الناس والذين كانوا يصارعون الطقس وتقلباته ، وكان هذا الصراع قد جعل من "فانسي" شخصية فخورا بنفسها ولا يمكن هزها. وماذا عنها؟ وما هي الحالة التي ستغادر عليها جزيرة "مولوكي"؟ هل هي نفس الحالة التي كانت عليها عند وصولها؟

الفصل الرابع

في الأيام التالية لم تتناول "كارين" سوى وجبتي عشاء فقط مع "فانسي". وما إن ابتلعت الطعام حتى نهضت من أمام المائدة رافضة أن يصحبها. أما الوجبات الأخرى التي كانت تتناولها في بيتها فكانت مثل وجبات الرحلات الخلوية.

كان عليها في المرة القادمة أن تشتري محمصة خبز عند ذهابها إلى المدينة. قالت ذلك وهي تبتلع بصعوبة قطعة من الخبز الرطب. ثم ارتدت "السويتر" الجلد وخرجت لتحضر أعمال إزالة الأشجار والعشب وكان المنظر مثيرا للضيق وهي تحت وابل المطر. وبدت السماء وكأنها تبكي والأرض تدمي طميا. وكانت مطاطاة الرأس تحت قبعتها الصوفية، واقتربت من موقع العمل ثم قالت -وهي تصطدم بكتف كالصخرة-:

- آسفة!

قال "فانسي" معلقا:

- في كل مرة تمطر فيها تظنيني هدفا سواء كنت تسيرين أو في السيارة.

كان يريد أن يمزح ولكن لهجته لم تكن مزاحا، وتوقفت نظراته على المنظر الطبيعي الذي أصابه التخريب وعلى البقع الحمراء وجذوع النخيل المقطوعة قالت -وهي تحاول أن تبدو مقنعة-:

- إنها ستكون أفضل بعد أن تبرز المباني على الأرض.

- بالتأكيد ولكن سيكون الأمر مختلفا، لأنني سأحس بأنني لست في بلدي.

ودت لو أحاطته بذراعيها وأن تدلك له رقبته وأن تطبع قبلة على

جفنيه وأن تريحه وأن تمنحه بعض الحنان ومع ذلك قالت بدلا من ذلك شارحة:

- إن عمالا آخرين سيصلون اليوم وغدا وبعد غد.

قاطعها:

- كلما ازددنا جنونا زاد ضحكنا ورحلت بسرعة أكثر.

تساءلت هل هذا أمل أو أسف؟ هزت رأسها علامة الإيجاب. سألها:

- هل ينقصك شيء؟ إنني سأذهب في زيارة خاطفة لـ"هونولولو" خلال أيام.

- أشكرك ولكني رتبت أموري فعلا للذهاب يوم الثلاثاء مع "مايك". لقد اختفت أمتعتي للأبد ويجب أن أقوم ببعض المشتريات.

قال بلهجة متباعدة:

- كان بإمكاني أن أصحبك إلى هناك.

تساءلت.. أن يذهبا بمفردهما في الطائرة الصغيرة. إن ذلك سينتهي بحادثة لا محالة. أجابته -وهي تشعر بقلبها ينقبض-:

- شكرا ولكني لا أستطيع أن ألغي اتفاقي مع "مايك".. إن ذلك لن يكون تصرفا صحيحا.

قال لها بسرعة:

- كما تريدين.. إلى اللقاء قريبا.

انشغلت "كارين" فترة ما بعد الظهر في استقبال القادمين الجدد. أخذ "چون أوميشي" يوالي التعليقات بلا توقف مما جعل "كارين" تستشعر كم هو صعب عليه أن يطيع أوامر امرأة. ومهما كلفها ذلك من عناء فإنه كان عليها أن تضعه في حجة بطريقة مؤدبة مرتين أو ثلاث مرات وهو الأمر الذي لم يتحمله بسهولة.

www.elromancia.com

في يوم الجمعة قامت بتسخين العشاء وأكلته أمام المدفأة. وهذا الأمر الذي جعلها تتناول عشاءها وحيدة لم يمنعها من التفكير في "فانسي" بطريقة مزعجة. وما جدوى أن تعذب نفسها مادام التفكير فيه لن يخرجها من حالتها المزاجية السيئة؟

ويوم السبت ظل الأمل يراودها لكي تنجح في تجنب الشاب وأخذت تحاول استكشاف الجزيرة ، ووسط ما بعد الظهر استطاعت صعود التل الذي يفصل بقية الجزيرة عن الأراضي السابق تخصيصها للمصابين بالجذام. لم يعد هناك أي أثر لما كان يشكل عارا على الجزيرة وجزر "هاواي" كلها. فإن المرض قد بدأ في عام ١٨٦٦ .

وكانت البواخر تنزل حمولتها الملعونة تاركة المرضى بلا علاج أو أي شيء يبقيهم على قيد الحياة. بل بلغ الأمر إلى حد إلقاء التعساء من فوق سطح البواخر دون الاهتمام حتى بالرسو على الشاطئ. ولا يهم هؤلاء الذين يغرقون قبل الوصول للشاطئ إلى أن وصل الأب "دميان" عام ١٨٧٣, كانت المستعمرة الصغيرة تعيش في بؤس تحت حكم قوانين قاسية.

اخترق شعاع الشمس السحب وأضاء المنازل البيضاء لقرية "كالوبابا". كان مرض "هانسين" قابلا للشفاء ولم يبق بالجزيرة سوى هؤلاء الذين رغبوا في البقاء.

وفي يوم ستتخذ "كارين" الطريق المؤدي إلى هناك وكانت تقول ذلك في نفسها. إن العداء الساخر الذي لا يكف الأهالي عن إبدائه نحوها يمكن أن تقارنه بالعذاب الذي عاناه مرضى القرن الماضي .

استمرت في نزهتها وتوقفت فترة قصيرة أمام صخرة الخصوبة. وكانت الخصوبة توعد لهؤلاء الذين يقدمون لهذه الصخرة القرابين. وامتنعت "كارين" من أن تحذو حذوهم وعادت إلى سيارتها.

وبعد أن عبرت حقول الأناناس كان الطريق بطوله يحد مزارع

الكاكاو المثمرة. وكان البحر يلمع على مسافة مئات الأمتار. وقفت "كارين" مسحورة. واستعدت للسير حتى الشاطئ عندما لاحظت لافتة تقول "خطر من سقوط ثمار الكاكاو".

كان عداء الجزيرة يتمثل حتى في هذا الموقع ذي المنظر الفريد والعاطفي. فضلت "كارين" ألا تجرب حظها الذي كان في الوقت الأخير في غير صالحها واكتفت بالتسكع على حدود الغابة ،ثم وجدت لافتة أخرى أكثر ودا عرفت منها أن آلاف أشجار الكاكاو قد زرعت هناك في القرن التاسع عشر بواسطة الملك "كاميهاميها" الخامس.

وفي "كاناكاي" جددت "كارين" خزينها من التموين واشترت محمصة خبز. وكان الوقت قد تجاوز السادسة عندما دخلت فندق "مولوكي". وحسب ما قرأته كانت ستجد فيه واحدا من أحسن مطعمين في القرية وهو ما كانت في حاجة إليه تماما بعد ذلك النهار الطويل من السياحة.

وفي مدخل الفندق رأت شلالا صغيرا يسقط على كتل حمم البركان. قررت "كارين" أن تبني مثله أمام المجمع الفندقي.

طلبت "جمبري" مقليا والتهمته وبينما هي تتناول سلطتها سمعت صوتا يقول:

– ألوها.. مرحبا يا آنسة "تاليس".

استدارت واصطدمت نظراتها بجبل ضخم من الملابس بداخلها رجل قال:

– أنا اسمي "كانو" وأنا من "هاواي" مائة في المائة.

ابتسمت له دون أن تفهم ما يعنيه فقال:

– إنني سأعمل معك ولكنني لم أصل إلا بالأمس ولم يتعرف كل منا إلى الآخر.

www.elromancia.com

– آه.. نعم... لقد تذكرت.. أنت رئيس الفريق.

كان "كانو" ضخما عريض الكتفين بارز العضلات وكان من الجنس الهاوايي القح. والذي أصبح نادر الوجود بعد عمليات التزاوج والترحال. سألته:

– هل لديك أطفال؟

– لا.. إن لزوجتي طفلا من زواجها الأول ولكننا طلقنا وذلك من وقت بعيد حتى إنني لم أعد أراهما.

أنبت "كارين" نفسها على فضولها ولكنه بدا غير محرج وواصل حديثه:

– لقد أتت من القارة ولكن لما كانت قد عاشت بعض الوقت في "أواهو" فقد قررت أنها ستعيش هنا ولكني كنت مخطئا. فهي لم تبق سوى ثلاث سنوات. إن النساء لا يتحملن الحياة في "مولوكي" ما لم يولدن فيها وكذلك..

– أنا آسفة.

رد عليها بابتسامة عريضة:

– العفو.. لقد حدث لي الأسوأ من ذلك.. مثلا في مهنتي كمدرب كرة قدم ونجم الجامعة في "هاواي" قد انتهت فجأة وبوحشية في ٧ ديسمبر ١٩٤١ م

– بسبب ضرب "بيرل هاربور"؟

– نعم والهجوم الياباني والدخول في الحرب جعلني أترك الملعب آسفا.

ثم قص عليها كيف أنه وقع في مصيدة شركة "إيموفاكانسي" وأنه كان يعمل مع حكومة "هاواي" وأنه كلف بمهمة توزيع المياه.

قالت له "كارين" في دهشة:

– هل تركت وظيفة ثابتة من أجل أخرى مؤقتة؟ هل المرتب أكثر

أهمية من الاستقرار؟

– نعم ولكن كانت لدي أسباب أخرى.

فهمت أنه لا يريد أن يكشف لها عن المزيد.

صعدت ثلاث نساء على منصة ثم أخذن يغنين بمساعدة آلتي "أوكيلي" و"جيتار". وكانت الألحان الشعبية معروفة عند المستمعين الذين أخذوا يصفقون ويصيحون ويطرقون الأرض بأقدامهم.

بعد ذلك جاء لحن أغنية "أنا لن أنساك أبدا" الذي كانت "كارين" تحبه فأخذت تكرره وراء المغنيات دون أن تمل. قالت في نفسها: إنها لن تنسى أبدا "فانسي" وقد أحست بانقباض في قلبها. إن هذا أمر لا شك فيه. وإذا كان الضرر قد وقع بالفعل فلماذا تحرم نفسها مما يمكن أن يقدمه لها الحاضر؟

وحتى تتجنب الأسوأ أخذت بالفعل تفكر فيه أكثر فأكثر وفي الاعتقاد أنه لا يوجد رجال آخرون على الأرض غيره. ما الذي سيحدث لو استسلمت لعواطفها؟

إن الأدب الإنجليزي مليء بالبطلات الهائمات المهجورات اللاتي لا ينسين الماضي أبدا، إنها تتصور نفسها جيدا وقد ابيض شعرها وهي جالسة في الصالون وسط ديكور عفا عليه الدهر وقد ارتدت ملابس الحداد، وتنظر للمرة المليون إلى صورة شاب له شعر ناعم كالقطيفة ونظرات رمادية، ثم تمسح في حزن ركني عينيها قبل أن تستأنف أعمال الإبرة والكروشيه ثم تتبرع به لجمعيات البر والإحسان لا.. ومع ذلك فإنها لن تنساه أبدا.

احتج "كانو" على سهومها:

– لا.. أنت على بعد آلاف الكيلو مترات.

اعتذرت فقال:

– لقد كنت أحدثك عن عرض "ملقين ليد" المسرحي هذا المساء.

www.elromancia.com

– لقد رأيت الإعلانات ولكن لا توجد تذاكر.

– أنا من هنا وساعثر على التذاكر. هل تريدين الذهاب؟

– بكل سرور ولكن هل أنا مرتدية ملابس لائقة؟

– لا مشكلة. سترين مختلف الأزياء ابتداء من ثياب "برمودا" المكشوفة والقصيرة حتى ثياب السهرة الطويلة.

انتهى العشاء ونهضا وخرجا. كان جمهور غفير يتجه إلى ملهى "باوهاتا" حيث يعرض الاستعراض. شرح "كانو" كيف أن "مولوكي" كانت فخورة بنجاح "ملڤين" وهو أول أبنائها الذين عرفوا المجد والشهرة على القارة الأمريكية ووالداه لايزالان يعيشان على الجزيرة وإن كانا مطلقين. رنت كلمة الطلاق رنينا سيئا على أذن "كارين". يبدو أنه لا يوجد زواج يمكن أن يقاوم رياح "مولوكي".

وكما هو متوقع استطاع "كانو" شراء تذكرتين بدون مشكلة وساعد "كارين" على التسلل حتى جلسا على مقعدين خاليين وسط صالة عرض فسيحة، وعلى الجدار في نهاية القاعة أقيمت منصة زينت جوانبها بأكاليل الزهور والورود.

كانت الأمطار قد كفت والجو كان لطيفا. استمتعت "كارين" بالعرض كثيرا، وكان صوت "ملڤين" مؤثرا جدا، وقد عرض المسرح عرضا منوعا من نكت وطرائف وتلميحات إلى الحياة المحلية فيما بين الأغاني مما جعل الجمهور ينفجر في الضحك الصاخب، ثم تلا ذلك في النهاية لحن أخذ الجميع يرددونه بعده، ومع ذلك لم يمنع ذلك "كارين" من أن تفكر في "ڤانسي".

أخذت طلبات استعادة الفقرات تزداد مما أطال مدة العرض ربع ساعة كاملة، ثم قرر الجمهور النهوض ومغادرة المسرح. تبعت "كارين" "كانو" نحو باب الخروج حين رأته يتسمر في مكانه، أدارت رأسها ورأت "ڤانسي" و"تامي" و"هيرا" بعيدا عن الجمهور. خفضت

عينيها أمام الصدمة ثم رفعتهما وواجهت نظرات الشاب الرمادية في إصرار، دس "كانو" يده تحت ذراعها وسحبها نحو الثلاثي العجيب.

كان الثلاثة في منتهى الأناقة وقد وجدت الوقت لتلاحظ ذلك. كان "ڤانسي" يرتدي "سويتر" أزرق يبرز بشرته البرنزية وعضلاته البارزة من صدره، و"هيرا" أخيرا ممشطة الشعر وقد استخدمت أدوات التجميل وقد ارتدت ثوبا رائعا مطبوعا بلون ناعم جدا. أما "تامي" فكانت أروع من أي وقت مضى في ثوبها الطويل المضبوط على جسدها وقد كشف كتفيها.

ندمت "كارين" على الملابس الرياضية التي كانت ترتديها والتي تكرمشت بسبب سياحتها، انحنى "ڤانسي" بطريقة رسمية وابتسمت "تامي"، ولكن أغرب شيء كان هو لقاء "كانو" و"هيرا"، فبعد تبادل ترحيب صاخب احمر وجه "هيرا" وأمسك "كانو" بيدها فلم ترفضه وأعلن أنها دائما فاتنة، واقترح أن يذهبا لتناول قدح من الشاي معا. وقال بإلحاح:

– لدينا الكثير الذي نتحدث عنه.

ترددت فقال:

– سأوصلك.. إن لدى "كارين" سيارتها وأنا أعمل هناك الآن.

– لقد قيل لي ذلك.

تدخل "ڤانسي".

– هيا اذهبا... سأوصل "كارين" إلى سيارتها.

بدأت "كارين" تحس بالحرج حيث كان من الواضح أن كلا الثنائيين لديه رغبة شديدة في التخلص منها كان الهاوايي العملاق والآسيوية الضئيلة قد ابتعدا وقد أمسك كل منهما بيد الآخر في ود. قالت "تامي":

– أرجو المعذرة حيث يجب علي أن أذهب لأقول كلمتين لبعض

الأصدقاء.

تركزت عينا "ڤانسي" بقوة وثقل على "كارين" ثم وضع يده على كتفها وقال:

– أرى أنك تحبين الرجال ذوي الشعر الأبيض.

– إن ذوي الشعر الأبيض غالبا ما يصحبهم ما يمتعهم بالحياة.

زفر ولزم الصمت ولكنه رفع يده عند عودة "تامي". جلس الثلاثة على الأريكة الأمامية للشاحنة الصغيرة و"تامي" في الوسط والتي قالت:

– سأرحل غدا صباحا ولكني أعتقد أنني سأعود في الحال ووقتها يا "كارين" سآتي إلى بيتك لنثرثر قليلا.

ردت "كارين":

– بكل سرور.

ما الذي يمكن أن تعيبه على تلك الساحرة؟ إنها فاتنة؟ إنها صديقة لـ"ڤانسي"؟ إنها تجهل أن الشاب يجرب حظه في عدة أماكن مختلفة؟

ومع ذلك فإن الصداقة الحقيقية غير موجودة؛ لأن العديد من العواطف المتضاربة والمؤلمة تعارضها.

تابعت "تامي" وكان "كارين" مستمتعة بما تقوله:

– إنني أرتب أموري بحيث أعود كل شهر إلى "مولوكي" وستتاح لنا الفرصة للقاء في البيت الكبير.

– بالتأكيد.

أوصلاها إلى سيارتها وسارا بالشاحنة أمامها وكانت أنوار الشاحنة الخلفية قد سهلت عليها القيادة ومع ذلك كانت متابعتها للثنائي "ڤانسي" و"تامي" هو العذاب بعينه. ثم من كان قبل "تامي"؟ كم عدد النساء اللاتي سبقنها؟ هل لديه نساء؟

الفصل الخامس

كان يوم الأحد مشمسا ولم تكن لدى "كارين" رغبة في ركوب سيارتها أو الاستحمام ولكن الطريقة الوحيدة لتجنب "ڤانسي" كانت اختيار شاطئ بعيد تقضي فيه نهارها، وكانت غارقة في أفكارها عندما سمعت طرقا على الباب. وكان الرجل الذي تريد الهروب منه واقفا على العتبة كالعملاق وهو يبتسم ولا مهرب منه. قال وهو يلاحظ البلوزة الهاوايية التي ترتديها.

– أرى أنك ترتدين حسب نظام البلاد. ما رأيك في إفطار شهي ودسم تليه جولة في أملاكي؟ هل تمتطين الجياد؟

– نعم ولكن مر وقت طويل منذ..

– لدي فرس صغيرة هادئة ولطيفة للغاية ،موافقة؟

أخذت على حين غرة فلم تجد أي شجاعة للرفض، وقدمت لهما "هيرا" وجبة سخية ثم أعدت سلة طعام النزهة، كانت أيضا دسمة.

كانت الفرس لطيفة جدا في الحقيقة وكانت حركات "ڤانسي" وهو يساعدها على امتطائها فوق السرج أكثر رقة. لم ترفض يده التي تأخرت على وسطها ولكنها كانت منهمكة في ضبط توازنها فوق ظهر الفرس. سألها:

– هل كل شيء على ما يرام؟

– كل شيء بخير.

ابتعد عنها على مضض وامتطى الجواد.

بدأت الجولة بزيارة مزارع الأناناس. وكان لون الأوراق الأخضر الداكن واضحا فوق الأرض الحمراء ويرسم خطوطا من النخيل منتظمة تماما .قال "ڤانسي" شارحا:

www.elromancia.com

– إننا نحصل على ثلاث جنيات والجنية الأخيرة هي التي تعطي أكثر الثمار حلاوة.

ثم عرض المشاكل التي تواجه هذا النوع من الزراعة.

– إنها تعب مستمر للرأس حقا. والغرب من الجزيرة هو أكثرها جفافا. ورغم إنشاء خزانات المياه ونظام حديث للري فإن الماء دائما ما ينقص. إن تلال الشمال والشرق على العكس رطبة جدا وتوجد بها مئات الشلالات ومساقط المياه التي لا تعد ولا تحصى. أما في أقصى الشرق فإنه غابة حقيقية لا يستطيع المرء الدخول فيها واختراقها.

قالت معلقة:

– ومع ذلك فإن "مولوكي" لا يزيد طولها على ستين كيلو مترا.. هذا على الأقل ما قرأته.

– هذا صحيح ولكن السهل والجو متقلبان تماما.

استمرت النزهة على طول المحيط. وكانت الشواطئ ذات الرمال الناعمة مع كتل حمم البراكين السوداء والبحر الأزرق بلا نهاية وعن بعد المساحات الخضراء لجزيرة "مايو" كل ذلك يقدم منظرا خلابا. وتوقفا أكثر من مرة حتى تتاح لـ"كارين" فرصة استرداد أنفاسها. كان أهم استثمار للأملاك هو تربية الماشية. وقدم "ڤانسي" لـ"كارين" راعيي بقر فوق جواديهما واللذين هزا رأسيهما بود أكثر لم تتعوده. وحوالي الساعة الثانية بعد الظهر توقفا على قمة تل. واستطاعت "كارين" أن تنزلق من فوق فرسها دون مساعدة من رفيقها. سألته:

– ما هذه الرائحة؟

– إنه الجنزبيل البري.

ثم بسط مفرشا. وعندما اكتشفت "كارين" ما أعدته لهما "هيرا" من سلطة سمك السومون والبصل وشرائح الأناناس وقطع الخبز الصغير الهش والقهوة في ترمس وجدت نفسها جائعة جوع الغول.

قال "ڤانسي":

– يقال إن هناك عمالا آخرين وصلوا.

رأت أسفل التل مقطورات بدت صغيرة مثل لعب الأطفال مصفوفة بالقرب من أماكن الحفر المبدئية. أجابته "كارين":

– سيكتمل الفريق هذا الأسبوع.

ثم رأت تجهم وجهه فسارعت وأضافت:

– هل ولدت هنا؟ وهل عشت هنا باستمرار؟

– إن هذه الأملاك تخص أبي وقبله كانت ملكا لجدي ثم لجدي الأكبر الذي هبط على الجزيرة كمبشر في نهاية القرن الماضي. وقد ولدت عليها ولكني لم أعش عليها باستمرار.

سكت لحظة ثم قطف زهرة بيضاء من زهور الجنزبيل البري وأخذ يديها بين سبابته وإبهامه.

صعدت الجو نسمة خفيفة قادمة من المحيط وأخذ الجوادان يصهلان في ثورة، وبرزت سحابة من وراء التلال وغامت الشمس.

ثم استأنف حديثه ثانية:

– لقد كنت في الثالثة من عمري عندما صحبتني أمي إلى "سان فرانسيسكو". لم تعد تتحمل الحياة هنا، وكما لاحظت فإن وسائل التسلية والمتعة نادرة. وفي كل صيف كنت أعود إلى هنا لمشاهدة والدي، وفي سن الثالثة عشرة طلبت أن أبقى. وانتهى الأمر بأمي أن قبلت. لاشك أن أبي هددها برفع الأمر إلى القضاء نظرا لما بلغته من سن لا تسمح لها بحضانتي؛ لأنه كان واثقا بأن القضاء سيحكم حسب رغبتي.

– وهل تعيش أمك حتى الآن في "سان فرانسيسكو"؟

– نعم.. إنها تحضر إلى هنا من حين لآخر ولكن لم يحدث أن مكثت أسبوعا كاملا. وفي كل صباح تذهب لتضع الزهور على قبر

أبي. لقد كنت أعتقد أنها كانت تحبه في السر. ولكن العزلة الإجبارية جعلت حياتها لا تطاق هنا.

– لا يكفي الحب لصنع زواج ناجح.

رد قائلا:

– نعم ولكن لا يوجد سوى الزواج في الحياة أليس كذلك؟

نظر كل واحد إلى الآخر في وجهه مباشرة وهما شبه مستلقيين على الأرض. مد ذراعه نحو "كارين" وربت شعرها بيده ثم استقرت عليه بالضبط فوق أذنها ،ثم وضع الزهرة خلفها ، ثم تابعت أصابعه وجهها البيضاوي مارا بخديها وشفتيها ثم توقفت بلا حركة.

أحست بأنها وقعت في الفخ ليس بسبب جرأة "ڤانسي" وإنما من رغباتها هي ،ولم تحاول المقاومة ، تبادلا قبلة حارة محمومة ثم قال "ڤانسي":

– لقد حان موعد العودة.. إن الجو بدأ يتغير.

صارت السماء رمادية غامقة والبحر يغطيه الزبد.

نهضت "كارين" عن كره وأسف وساعدها على جمع الأشياء المبعثرة. زفرت وهي تلقي نظرة أخيرة على بانوراما المنظر الخلاب.

– إنه دون شك منظر رائع!

اقترب منها "ڤانسي" في حركة حنان وحب جعلت المرأة تشعر بانفعال وأوشكت أن تبكي. قال -مكررا بصوت خافت غير مسموع-:

– إنه جميل جدا ومع ذلك بعت جزءا منه.

– لماذا؟

– لقد قدم لي رئيسك عرضا لم أكن في وضع يسمح لي بأن أرفضه.

ودت لو أمسكت بذراعه وواسته ولكنهما كانا قد لحقا

بجواديهما. وكانت رحلة العودة محنة. لم تكن "كارين" فارسة بارعة والرياح كانت قوية جدا. وقد تقوقعت فوق فرسها وشعرها يتطاير أمام عينيها وكان "ڤانسي" يشجعها بصوته. تعثرت الفرس وفقدت "كارين" توازنها ووجدت نفسها معلقة على الركاب. قالت -موجهة الحديث لـ"ڤانسي" الموجود على بعد مسافة منها-:

– ليس هناك شيء.

بدأ المطر ينزل في البداية قطرات ثم حدث طوفان وبدأت سرعة المتنزهين تقل أكثر فأكثر. وحولهما كان كل شيء رماديا... ما يحيط بهما من أشجار وأعشاب وكتل حمم البركان كلها مختلطة.

كانت عينا "كارين" شبه مغلقتين وكان شعرها مبتلا وملتصقا برأسها وجبينها وملابسها تقطر ماء وهي تقفز مثل الماعز الجبلي وقد كزت على أسنانها وهي تأمل ألا تسقط في الطين.

وكان خيال الإسطبلات منعكسا وسط الضباب القاتم. قفز "ڤانسي" إلى الأرض وسارع ليعاونها وسألها:

– هل الأمر بخير؟

– لا بأس.

أوكل الجوادين إلى السايس وسحب الشابة إلى ملجأ تحت الباكية" في مدخل البيت وقال:

– انتظري حتى أحضر لك غطاء.

– غطاء آخر؟

عاد ومعه قطعة كبيرة من "البطانية" بلون الكستناء ألقى بها على كتفيها. وقال:

– إننا سنضطر للبقاء قليلا حتى يهدأ الجو.

ضعف هطل المطر بعد دقيقتين واستطاعا أن يغامرا بالدخول في الفناء. أحست "كارين" بالإرهاق ولم تكن لديها سوى رغبة عاجلة

www.elromancia.com

وهي أن تعود إلى بيتها وتأخذ دشا وتبدل ملابسها.. ولكن القدر قرر غير ذلك. انزلقت قدمها في الطين مما اضطرها إلى السقوط وتشبثت بقدم "ڤانسي" وهي تسقط وسحبته معها بجسده الضخم. وكان من الممكن أن يسحقها بثقل وزنه لولا أنه قذف بجسده للأمام.

وكانت فكاهة الموقف لم تفت عليهما وثبتا في مكانهما الغريب هذا وقد انفجرا في ضحك صاخب. ثم غامت نظرات "ڤانسي" من الرغبة . كانت سجينته بين الأرض وثقل جسده وسط الطين الأحمر اللزج ،وسرت في جسد الشابة عاطفة مؤلمة ودق قلبها بعنف. حاولت أن تحتج. إنها لا تستطيع الاستمرار. كان الوضع مستحيلا خاصة أنه من الممكن أن يخرج أحد ويراهما في ذلك الوضع المريب. ولابد أنه أحس بترددها فهمس بصوت أجش:

– تعالي.. هيا نذهب إلى شقتك.

أحسا بأن روحيهما وجسديهما أصبحا واحدا لا ينفصل. قالت "كارين" في نفسها –وهي تتقلب في الطين –ما الذي يحدث؟ وكان من الواضح الجلي أنها عاجزة عن التفكير في وجود "ڤانسي".

نهض فجأة وقد أصابته نوبة من النشاط المفاجئ وكانت صورتهما قد حفرت في الطين مما جعل وجهها يحمر خجلا. وخلال دقائق سينمحو المطر تلك الصورة وسرعان ما سينسى "ڤانسي" عناقهما وتمنت لو حذت حذوه وتنسى.

تبعها إلى كوخها البنجالو واستعد لأن يعبر الباب عندما استجمعت "كارين" كل شجاعتها ومنعته من الدخول.

– لا.. لا يجب أن تفعل..

– بل يجب.

أحاط ذراعيه بوسطها ودفعها للداخل وهي تهمس في توسل:

– لا..

– ولكن لماذا؟

قبل رقبتها وأذنيها وفوديها وهي تحاول أن تعترض دون جدوى وهمست ثانية:

– لا.. لا يجب أن تفعل.

– ولم لا؟

– ليس الآن فإننا متسخان تماما.

– هذا صحيح.. لناخذ دشا. لابد أن يكون كل شيء تاما وممتازا في أول مرة.

فكرت هل هذه أول مرة. وهل من المستحيل تجنب المحتوم؟ ارتجفت. قبلها ثانية وارتعدت فابتعد.

تخلصت "كارين" بسرعة من ملابسها المتسخة وفتحت الصنبور على آخره ووقفت تحت الدش. كان الطين ملتصقا بالجلد وبالشعر وأخذت تحكه بقوة ونشاط ولكن الأسوأ كان هو الشعور بالخجل والعار الذي يبدو أن الماء ولا الصابون لا يستطيعان إزالته. ما الجنون الذي تملكها؟ وتمنت ألا يكون أحد قد رآهما!

غسلت نفسها بالماء الصافي ولكن الشعور بالذنب لايزال موجودا. أخذت الصابون مرة أخرى والشامبو وبدأت تنظف نفسها أصبح الماء دافئا فأغلقت الصنبور ومدت يدها خلف ستارة الدش لتمسك بمنشفتها فسمعت صوته الحبيب يقول:

– أخيرا.. بعد قليل سيفرغ خزان الماء كله.

ثنت ذراعها محتمية بالستارة التي كانت تخفي الخيالات بدرجة كافية سألته:

– ما الذي تفعله هنا يا "ڤانسي"؟

– إن الباب لم يكن مغلقا.

– ناولني منشفة ودعني أرتدي ملابسي.

– هل يمكنني مساعدتك؟

– لا.

ألقى إليها بالمنشفة وقال:

– بالنسبة للملابس فإنني أفضل البشكير الذي كنت تحيطين به جسدك في ذلك اليوم.. هل تتذكرين؟

– إنني أتذكر ولكني أحب أن..

– لا.. لا.. لا..

رأت خياله وهو مستند بلا اكتراث إلى حوض الوجه. لابد أنه يضحك فهو مسرور من الموقف.

زفرت:

– حسنا.. سأرتدى ما تريده ولكن بشرط أن تخرج من الحمام.

– اتفقنا.

عندما أصبحت "كارين" بمفردها خرجت من مقصورة الدش وجففت نفسها ثم عقدت البشكير حول جسدها باحتشام قدر المستطاع ثم مشطت شعرها. ثم صاحت فيه:

– يجب عليك إشعال النيران في المدفأة فإن الجو يميل إلى البرودة.

– اتفقنا.

بعد أن تزينت قليلا أصبحت مستعدة ولكن مستعدة لماذا؟ مستعدة من أجله؟ أما الرجل فكان ينتظرها جالسا في المقعد الوتيد ذي المسندين في مواجهة النيران المستعرة وشعره لايزال مبتلا وقد ارتدى قميصا وبنطلونا أخضر اللون واستقبلها بابتسامة عريضة. قال لها وهي تجلس:

– كان علي أن أشتري أريكة بدلا من هذين المقعدين ذوي المساند.

اقترب بوجهه من وجه "كارين" ثم أراها الأغذية التي أحضرها معه:

– عصير العنب والأناناس والجبن والخبز والفواكه.. هل أصب العصير؟

– نعم.

– إنه عصير الأناناس المخمر.. إننا ننتجه في مصانع "هاليا كالا" وهو البركان الخامد في جزيرة "مايو". تذوقيه.. إنه مسكر بعض الشيء ولكنه حلو. خذي جبنا أيضا.

– هل تشتري كل هذا من "مولوكي".

– لا.. إننا لا نجد فيها سوى الجبن الأبيض وليس في كل الأيام. إنني أقوم بزيارة خاطفة مدة ثلاثة أو أربعة أيام إلى "هونولولو" كل شهر حتى أحضر التموين.

قالت في نفسها: وحتى يحضر "تامي" إلى الجزيرة. سألته –حتى تتخلص من أفكارها–:

– حدثني عن نفسك.

مرت ساعتان على الأقل في حديث حي ودود وخصوصي وكشفا عن مكنون قلبيهما. لقد وجدا أنهما يحبان بعض الكتب وبعض أنواع الموسيقى ويكرهان بعضها. "كارين" كانت تكره "بيكاسو" وكان "ڤانسي" يكره "بارتوك" وكلاهما قرأ مؤلفات "هيمنجواي" عدة مرات. وكان "ڤانسي" يسارع إلى السينما كلما ذهب إلى "هونولولو". أما "كارين" فقد كانت وهي طالبة تخصص للسينما كل سهراتها.

هبط الليل وأضاءت "كارين" مصباحا ونهض "ڤانسي" ليضيف بعض كتل الخشب إلى نيران المدفأة وبدلا من أن يعود ليجلس وقف خلف الشابة وأخذ يدلك رقبتها وقد جعلتها حركاته البطيئة الرقيقة

www.elromancia.com

ترتجف. ركزت عينيها على نيران المدفأة المتراقصة وشردت في أفكار وأحاسيس غريبة سرت في كل جسدها. همس في صوت أجش وكأن الأنفاس تنقصه.

– "كارين"! "كارين"!

لم تستطع أن تمنع نفسها من الارتجاف. قالت له فجأة:

– هل تعلم أنني سعيدة جدا لحضورك إلى هنا؟

– وأنا كذلك.. فلننتهز هذه الأشهر القليلة!

أشهر قليلة؟ تصلب جسد "كارين".. إنه مصمم إذن على إقامة علاقة عاطفية خاطفة معها، لقد أحست بأنها شيء نادر اكتشفه "ڤانسي" وقرر استعماله طالما كان في حوزته. إنه محروم من الزوجة ولن يضيع الفرصة لأن يضيف امرأة أخرى إلى قائمة غزواته. بدون ارتباط ولا قيود ولا مسؤولية.. إنها المتعة الخاصة البسيطة.

أحست بالصدمة العميقة فشدت بشكير الحمام حول جسدها بقوة ونهضت فجأة. سألها:

– ماذا هناك؟

استجمعت كل شجاعتها وقالت:

– لقد غيرت رأيي.

– غريبة! كيف هذا؟

أخذ يحدق إليها وفمه مفتوح دون أن يفهم وهي تشد البشكير حول وسطها. مد يده ليمسكها.

– لا.

صفر بشفتيه.

– شيء غير عادي! لقد كنت دائما أعجب ولازلت بالنساء اللاتي يعرفن كيف يتخذن قرارات سريعة.

لزمت الصمت فغضب وصاح:

– ألا تظنين أنك مدينة لي ببعض التفسيرات؟ لم يبد عليك عدم الرضا من دقيقتين بصعوبة!

ذهبت لتستند بكوعها إلى حافة المدفأة وكان جسدها يرتجف من البرد أو الإحباط أو كليهما.

استأنف كلامه في غضب مشوب بالتهكم:

– من الواضح أنك تفضلين العجائز.. لأن حيوية الشباب تخيفك.

سألته –ثم ندمت على سؤالها–:

– ما الذي تريد الوصول إليه؟

– لقد عشت حقا على جزيرة منعزلة بعيدة عن الحضارة ومع ذلك لست ساذجا كما تظنين. ومن النادر أن تحصلي على وظيفة مرموقة كهذه التي تشغلينها وأنت في هذه السن الصغيرة. أعرف كيف حصلت عليها. ولكن إلى متى ستحتفظين بها وأنت على بعد آلاف الكيلو مترات من "جوردان ناش" وصداقته الحميمة؟

– كف عما تقول.. أنت سافل وصفيق!

أوشكت أن تختنق من الغضب. إن هذا المخلوق لا يستحق أي تفسير. إنه مليح وساحر ولكن نفسه وضيعة، استردت أنفاسها وقالت:

– هناك صفات يمتلكها رجال في منتصف العمر وهي اللياقة والدبلوماسية وبعض التميز ولكني أتصور أن هذه كلمات لم تسمع عنها أنت ولا تعرف معناها.

أدركت من قسوة ملامحه أن كلماتها أثرت وجاءت في محلها. لم تضف شيئا واتجهت إلى دولاب ملابسها وفتحته ثم أمسكت بملابسها النظيفة ودخلت الحمام وأغلقته عليها بالرتاج.

إن دشا طويلا قد يهدئها وصوت المياه يغطي على نشيجها. لن تبكي. إنها لم تسكب دمعة واحدة بعد وفاة والدها، و"ڤانسي" لا

www.elromancia.com

يستحق دموعها. إن طعم الملوحة في الماء ليس بسبب دموعها وإنما من آثار العرق والغبار. جففت نفسها طويلا وارتدت ملابسها كل ذلك وهي تصيخ السمع.

سمعت بابا يغلق. عادت إلى الحجرة. ورأت "ڤانسي" في انتظارها وهو جالس على أحد المقعدين ذوي المساند وقد وضع الثاني في مواجهته.

سألته -وهي تتعمد أن تكون لهجتها مستخفة به-:

- ألازلت هنا؟

- أردت أن أعرف لماذا؟

قرأت بعض اليأس على وجهه... هل حقيقة أنه جرح؟ ردت:

- لست مدينة لك بأي كلام.

- اجلسي!

- لا.

- لقد شاهدتك في موقع العمل. لقد كنت فعالة.. ولست في حاجة لأن تغازلي صاحب العمل..

كان السؤال الذي لا يجرؤ على طرحه هو لماذا "جوردان ناش" وليس هو؟ إنه لا يحبها ولكن كرامته هي التي جرحت وهي التي تعذبه. ردت:

- بالتأكيد أنا فعالة في موقع العمل. ولكني أذكرك بأن تلك الفكرة هي فكرتك أنت وليست فكرتي.

غامت عيناه الرماديتان في حيرة وقال:

- لقد سمعت ثرثرات أثناء مفاوضات العقد منها أن لـ"ناش" عشيقة في وسطه المحيط به وهو أمر ليس سرا على أحد.

- حسنا! ومن هذا استنتجت أنها أنا. إن اسم المرأة المتهمة هو "سيلڤيا جيانيلّي" وهي في مركز رفيع جدا خلق لها منافسين وإن

كانت قد حصلت على مركزها نتيجة كفاءتها ومواهبها وليس ما تظنه بفكرك المريض. إن "ناش" يقدر كفاءتها وهذا أمر نهائي والبقية هي غيرة وحقد وقول سافل.

كانت تتحدث في جفاء. لقد سرت الإشاعة من سنوات وسط الشركة وقد فاض الكيل بـ"كارين" منها ،ونفس الإشاعات السافلة تهددها هي أيضا وأن يكون "ڤانسي" هو أول من يرددها ،إنه أمر لا يطاق. همس لها بلهجة مرتبكة:

- ماذا يمكنني أن أقوله لك يا "كارين"؟

- يمكنك أن تقول شيئا مثل أنا آسف.. أو عفوا!

أخذ يغمغم في صمت وكأن الكلمات المطلوبة غير قابلة للنطق ثم همس:

- إنني أصبت بخيبة كبيرة.. وأنت تفهمين..

قالت معترفة -وقد حن قلبها له بسبب عدم قدرته على الاعتذار-:

- لم يكن من الواجب أن أدع الأمور تصل إلى هذا المدى وكما لاحظت فإنني لن أبقى هنا سوى وقت قصير.

نهض من مقعده وقال:

- الحق معك ،نستمر قرونا قبل أن يعاد فتح موقع عمل جديد في "مولوكي".

- من الأفضل أن يقل لقاؤنا قدر المستطاع.

- الحق معك.

بدا أنه يقبل ذلك دون ندم. إنه ليس في حاجة إليها. لقد أفسد فرصة جيدة ولكنه لن يقع مريضا بسبب ذلك. إن "تامي" ستسري عنه هي أو نساء أخريات. على أية حال "هونولولو" ليست بعيدة. قال مستطردا:

www.elromancia.com

– سأذهب لمقابلة "هيرا" من أجل ما ستفعله بالنسبة لوجباتك. إنك لن تستطيعي أن تعيشي للأبد على الساندوتشات والحساء المعاد تسخينه.

هل يمكن أن تعيش بدون أن تراه؟ إنها غير مقتنعة. مر من أمامها ومد يده وكأنه سيلمس خدها ،ولكن حركته تعلقت ولم تتم وقال:

– أنت لا تبنين سوى جدران.. وهذا لا بأس به ، هنا الأرض غير مستقرة جدا لإقامة قناطر عليها ولا نستطيع أن نربط بين ما هو غير صالح للربط.

الفصل السادس

كانت الشمس ساطعة يوم الثلاثاء التالي والسماء خالية وصافية من الغيوم ولا يوجد أي أثر للريح. وسعدت النفوس لرحيل "كارين" إلى "هونولولو".

وأمام سقيفة الطائرة كان الميكانيكيون يسخنون المحرك للطائرة البرمائية "بيتش كرافت" وكان "ڤانسي" شديد الأناقة في حلته الرمادية الفاتحة ثم اقترب من طائرة "مايك" "السيسنا" وقال:

– ابدأ الرحيل قبلي.

احتج "مايك":

– لسنا في عجلة من أمرنا. إن مبدئي هو الرئيس أولا!

امتنعت "كارين" عن تصحيح هذا الكلام. فرغم تصرف "ڤانسي" الذي يتسم بالروتينية التحكمية فإنه ليس رئيس أحد.

طار كل منهما وراء الآخر. ودهش "مايك" لأن "كارين" لم تستفد من الطائرة "البيتش كرافت" مادامت ذاهبة إلى "هونولولو" وعندما سألها تركت السؤال معلقا بلا إجابة.

هبط "ڤانسي" ثم اختفى في المطار قبل أن تطأ قدماها الأرض.

– هل سنلتقي في الساعة السادسة؟

– نعم وبعدها سأصحبك للعشاء ومشاهدة السينما.

– أستطيع أن أتناول العشاء فقط وغدا لابد أن أنهض في ساعة مبكرة.

– في مرة أخرى إذن؟

– موافقة.

تواعدا في السادسة عند طابق الطعام في فندق "البكاي".

www.elromancia.com

تبعت "كارين" نصائح "مايك" واتجهت إلى وسط المدينة حيث توجد معظم المحلات ، وإذا بقي لديها وقت فستعود لتتمشى في ميدان "كلاكوا" المزدحم بمجموعة من الحوانيت التي تبيع التذكارات والعاديات والآثار. وعلى أية حال عندما ينتهي العمل في الموقع ستأخذ بضعة أيام للسياحة ومشاهدة واجهات المحلات.

هبت رخة من المطر الشديد جعلتها تلجأ هي ولفائفها إلى تحت البواكي ، وبعد دقيقتين ضعف المطر. وخرجت "كارين" من مكمنها واصطدمت بجسد ضخم أوشك أن يطيح بها. ثم وضعت كفان على كتفيها وأمسكتا بها حتى لا تسقط وقال "ڤانسي":

– في المرة القادمة عندما تمطر ساضع درعا واقيا.

همت بأن ترد عليه في مزاح عندما رأت النظرات الرمادية تتجمد وسمعت:

– لقد وقعنا عقدا يا آنسة "تاليس" ولدي نية تنفيذه بالود أو بالقضاء!

ثم ابتعد دون أن يفسر كلامه. وصاحت:

– ولكن عن أي شيء تتكلم؟

دار حول نفسه وعاد إليها.

– لا تقولي لي إنك تستولين على جميع العمال المؤهلين في "مولوكي"!

أشار بسبابته إلى شيء خلف "كارين". استدارت ووجدت أنها لجأت وقت المطر إلى عتبة وكالة تشغيل الفنيين للمباني. ولم يكن قد مر يومان منذ آخر نقاش وجدال بينهما خرج منه بأحكام سريعة غير متروية وغير صحيحة ودون أن يهتم حتى بالتحري عن مدى صحتها. صاحت في غيظ:

– ألم يقل لك أحد إنك أبله ساذج وأحمق؟

انفجر صارخا:

– كيف؟ أنت تصطادين العمال من "هونولولو" في حين أنك وعدت أن تبدئي بالعمال القدامى في المزرعة، ثم بعد ذلك تعامليني على أنني أبله؟

– إنها كانت تمطر يا "ڤانسي"..

نظر في دهشة إلى الرصيف المبتل وإلى اللفائف التي تحتضنها وقال:

– هل تريدين القول إن المطر هو الذي اضطرك للدخول هناك؟

ردت عليه بجفاء –وهي تبتعد عنه بخطوات واسعة–:

– بالضبط!

لحق بها وقال:

– إنها ليست سوى غلطة..

– إنك ترتكب الكثير منها.

ثم أكملت في ذهنها.. ودون أن تعتذر! سألها:

– ألا يحدث لك مثل ذلك أيضا؟

– بل يحدث للأسف.

من أكبر غلطاتها المتسرعة اهتمامها بـ"ڤانسي وارنر" وهي غلطة رهيبة لا تستطيع التخلص من عواقبها. قال مقترحا عليها –بعد صمت مريك–:

– هل سنتعشى معاً؟

– إنني مرتبطة ولست حرة.

– مع "مايك"؟

– الحقيقة أن هذا ليس من شأنك.

انزعجت أمام وجه الشاب المضطرب فأضافت:

– تذكر أننا اتفقنا على ألا نتقابل إلا في أضيق الحدود.

www.elromancia.com

– إنها فكرتك أنت وليست فكرتي.

– إنه أمر ضروري.

توقفا عن التشاجر وبدا على سحنته مظهر "همفري بورجارت" في أحد أفلام "هيمنجواي" وقال بسرعة:

– يوما ما يا صغيرتي!

اضطرت "كارين" لمتابعة عملية الشراء بل إنها تمادت فيها. مثلا هل هي حقا في حاجة إلى ثوب طويل آخر؟ إنهم يقولون إن ذلك مفيد للحالة المزاجية وهذا الثوب الثاني الذي اشترته بقماشه المطبوع باللون الأزرق كان يبرز جمال بشرتها الذهبية وشعرها الأشقر.. لقد كان باختصار ثوبا رائعا.

ارتدته داخل غرفة الزينة في فندق "البكاي" قبل أن تستقل المصعد. وكان "مايك" ينتظرها في الطابق الأخير فاطلق صفير إعجاب مكتوم.

– سيدتي الجميلة! لولا أنني أنتظر رئيسة موقع قاسية لوددت أن أتناول العشاء معك!

قالت له –وهي ترمش بعينيها–:

– وما الذي ستخسره لو غامرت وفعلت؟

– ربما بضعة قوالب طوب أحمر فوق الرأس ولكن ولا يهمك فإن قضاء سهرة معك تساوي ذلك.

أخرج من وراء ظهره تاجا من الأوركيد الأبيض والبنفسجي وبعض الزهور الجميلة البرية ووضعه حول عنقها ثم أمسك بها من كتفيها وقبلها على خديها وقال:

– ألوها (مرحبا بالهاواي) يا "كارين تاليس". مرحبا بك في "هونولولو".

لمست بأطراف أناملها أوراق الزهور الناعمة ثم أخذت تشم

رائحتها العطرة وقالت:

– شكرا يا "مايك" إن حلتك هذه رائعة وساحرة. قادهما كبير الخدم إلى مائدتهما وظلت "كارين" فاغرة فاها أمام المنظر الطبيعي. كانت المدينة مضاءة بكل الأضواء من مشاعل وكشافات ومصابيح ميادين وأخرى أمام واجهات الحوانيت وبالنوافذ والأسطح المائلة المغطاة بالقرميد وأشجار النخيل التي بطول الشاطئ وكأنها رسوم رائعة على سجادة لا نهائية بينما احمر الأفق بآخر أشعة الشمس الغاربة. إن السيطرة بأنظارها على كل هذه المدينة بمناظرها الغريبة والخلابة تعطيها إحساسا بالقوة والرصانة والسلام.

على أية حال أيا كان من يصحبها فإن "فانسي" الآن موجود عند قدميها.

طلبت "كارين" كوكتيل من "هاواي" وقررت ألا تفكر إلا في الشاب الذي قدم لها هذه الأمسية الجميلة. ولكن القول كان أسهل من الفعل. وقد اكتشفت هي ذلك عندما وجدت أفكارها تهيم.

اقترح عليها "مايك" طبقا خاصا من الأطباق المحلية: شريحة سمك مدخنة ومزينة بالجمبري والمحار ومغطاة بطبقة من الصلصة بالكريمة والأعشاب.

– إنها لذيذة!

– أليس كذلك؟ لسوء الحظ إنك على بعد مئات الأميال من هنا.

– سامحني فأنا متعبة قليلا.

– مني؟

– بالتأكيد لا!

أحست بالذنب لأنها أولته قليلا من الانتباه في حين أنه أنفق تقريبا كل ما حصل عليه من رحلته في الذهاب والعودة إلى "مولوكي".

www.elromancia.com

– وهل تعبت من "فانسي وارنر"؟

فزعت، فقد كان تحت مظهره الساذج أكثر ذكاء مما كانت تظن. سألته:

– ماذا تعني؟

– حسنا.. إن لكما طريقة غريبة في تبادل النظرات وإنني أتساءل إن كان هناك شيء ما بينكما.

– لا.. حقا..

إنها كذبة صغيرة طالما لا يهتم "فانسي" بها إلا من الناحية الجسدية قال لها:

– حسنا.. لقد سمح لي فكري مما رأيته أن آمل...

ودت لو أنها استطاعت ألا تشجعه ولكن لم يكن لها الحق في ذلك. وضعت يدها على يد "مايك" – أنا آسفة.. أنا أحبك كثيرا ولكني لا أستطيع أن أرتبط بشخص لأنني سأرحل قريبا.

– هل يلزمك حب من الدرجة الأولى وخاتم زواج؟

– ولا هذا. إن ربة البيت ليست نمطي المفضل والمهنة التي اخترتها تفرض علي عدم الاستقرار والانتقال المستمر.

ابتسم "مايك" في استمتاع:

– أنت لا تريدين علاقة عابرة ولا زواجا يا "كارين تاليس". ماذا تريدين بالضبط؟ أن تموتي ضحية العمل والحرمان من الحب؟

– ما الذي أريده؟

قطعت حديثها، مابدا لها واضحا من أسابيع قليلة أصبح مبهما ومن المستحيل تعريفه أو تحديده حاولت أن تفسر ذلك ولكن الكلمات لم تكن واضحة ولا دقيقة..

– أريد أن أرغب في شيء أو آخر بحيث لا أندم أبدا على اختياري.

– يا صديقتي المسكينة "كارين". إن عدم الاستقرار التام هو ماذا؟ أنا نفسي لست منجذبا على الإطلاق للزواج ولكنك تعجبيني كثيرا ولو حدث..

قاطعته:

– موافقة.. سأضعك على رأس القائمة.

كان كلامها كذبا. هناك شخص آخر على رأس القائمة رغما عنها. وهذا للأسف لأن "مايك" كان مخلوقا راقيا على عكس "فانسي" ولم يحدث أبدا أن أتى بأفعال خاطئة أو سوقية مثله.

انتهيا من وجبتهما على كوكتيل الأناناس ثم نهضا ليرقصا. ونجحت "كارين" في الإبقاء على المسافة بينها وبين "مايك" وهي تعامله على أنه شقيق لها. قالت –بعد الرقصة الثالثة–:

– يجب أن نعود.

– سأتصل بالمطار... إن التوقعات الجوية ليست في صالحنا في بداية السهرة.

عاد بعد ثلاث دقائق وقد بدا عليه السرور.

– إن الجو سيئ للغاية.. هيا بنا لنشاهد الرقصات البولينيزية المحلية في ملهى "بيتش كومر" وبعدها سأتصل بهم ثانية.

رغم إرهاق "كارين" إلا أنها قبلت بكل سرور هذا الامتداد للسهرة غير المتوقع. منذ زمن بعيد كانت ترغب في حضور استعراض من هذا النوع ولم يخب ظنها. لقد كانت رقصة "الهولا" الهاوايية رشيقة وهادئة أما رقصة "تاهيتي" فكانت عصبية ومثيرة. كان فيها راقص يدور حول نفسه في الهواء حاملا مشاعل وكانت الملابس الملونة والموسيقى الصاخبة والتصفيق الحاد يسحر "كارين"، عاد "مايك" بعد إجراء مكالمة وهو مرتبك وحائر.

– إن الأمر لم يسر على ما يرام. يمكننا الذهاب لمشاهدة شيء آخر

www.elromancia.com

ثم معاودة الاتصال ولكن هناك القليل من الحظ في أن تهدأ الرياح هذه الليلة ، وأنا لست أرغب في المغامرة فقد تحطمت إحدى طائرات الهليكوبتر التابعة لسلاح الحدود فوق أحد تلال "مولوكي" من شهرين. وسأحاول العثور على حجرة خالية لك في فندق.

ولكنه لم ينجح لأن جميع الغرف كانت مشغولة.

– إن ذلك بسبب العاصفة الثلجية التي هجمت على القارة الأمريكية. وهؤلاء الذين استطاعوا الإفلات منها حضروا إلى هنا بالطائرة.

وضع "مايك" يده على قلبه وأقسم بصوت عال:

– أعدك بأن أقضي الليلة كلها فوق الأريكة.

– لا.. إن الأريكة ستكون من نصيبي. يجب أن تكون في كامل لياقتك ومستعدا في الغد لنقلي إلى "مولوكي".

بدا سعيدا للغاية حتى إنها تساءلت لحظات إن كانت قصة الجو السيئ من اختراعه حتى يحتفظ بها في بيته.. لا. إن "مايك" رجل صريح ومباشر. يجب عليها ألا تصاب بداء الشك الذي نقله إليها "ڤانسي" بتصرفاته المريبة ،يجب ألا تشك في كل رجل!

كانت شقة "مايك" تقع على الطرف الآخر من المطار. جاملته "كارين" حول وضع الحجرات والديكور والشرفة التي منها يستطيع المرء التمتع بمنظر المحيط وكذلك جاملته على المطبخ.

– لا.. لا تدخلي المطبخ فقد مر يومان لم أغسل فيهما الأطباق!

ومع ذلك لم تعرض عليه "كارين" غسلها بدلا منه ورغم إلحاح "مايك" في أن يترك لها غرفته إلا أنها ألقت بنفسها فوق الأريكة ونعست في الحال.

أحست بيد تهز كتفها.. هل هو "ڤانسي"؟ ولكنها سمعت صوت "مايك" يقول في رقة:

– أرجوك يا "كارين".. أمامي رحلة طيران في الثانية عشرة ظهرا ويجب أن نرحل في الحال.

جعلتها رائحة القهوة النسكافيه تفتح عينيها وقال لها "مايك" – في لهجة اعتذار–:

– أنا آسف... إنها التاسعة.

– اللعنة.. كان من المفروض أن أكون في الموقع في الثامنة.

تنازلت عن تغيير ملابسها ومشطت شعرها بسرعة وجمعت حوائجها. قال لها "مايك" –وهما في الطريق إلى المطار–:

– بالمناسبة هل تعرفين أنه في اليوم الذي اضطررت فيه لتركك في "كونا كاكي" فإن الزبائن الذين حجزوني للعمل لمدة ثلاثة أيام لم يظهروا أبدا لقد تسلمت شيكا بالأجر وهذا كل ما هناك. إن النقود يسهل الحصول عليها.. أليس كذلك؟

وبعد دقائق أقلعا. وكان المحيط الباسيفيكي عميق الزرقة وناعما كالحرير وإن كانت تعلوه السحب. واقتربت جبال "مولوكي" خضراء وبارزة. وسرعان ما عرفت "كارين" مساقط المياه التي لا حصر لعددها والتي تلمع على سطوحها.

اخترقت الطائرة آخر ستارة من الضباب ثم هبطت على الحلبة الخاصة بالمزرعة. وكان تفريغ العدد الضخم من لفائف مشتريات "كارين" عملا ليس هينا. وقد سعدت أن الطائرة نزلت عند كوخها مباشرة كما سعدت أكثر عندما أرسلت بالبريد هدية لعمتها الكبرى بمناسبة عيد ميلادها.

قال "مايك" مقترحا:

– هل تحبين أن أساعدك حتى بيتك؟

– لا.. أنت في عجلة من أمرك وسأتصرف بمفردي.

قال –وهو يطبع قبلة على خدها–:

– شكرا يا "كارين" على تلك الأمسية الرائعة ولا تنسي أن شقتي هي شقتك.

كان قد أقلع عندما ظهر "ڤانسي" في السقيفة، تساءلت: إن كان قد قضى الليل هناك منتظرا عودتها وهل سمع آخر كلمات "مايك"؟ قال مزمجرا:

– هل كان الأمر جيدا؟

أجابت –دون أن تتوقف خوفا من أن يسقط منها هرم اللفائف الذي حملته على ذراعها–:

– ممتاز جدا.

ولكن حدث ما كانت تخشاه فقد حدث انفجار داخلي ألقى باللفائف على الأرض. سارع "ڤانسي".

– ساساعدك.

قالت في توتر:

– ولكن لا.. لا أريد شيئا منك.

أمسك بكتفيها وقال لها:

– أما أنا فاريد. أريد منك ألا ترفضي مني شيئا.

مال عليها وطبع قبلة على جبينها بوحشية جعلت "كارين" تتخلى عن عدم اكتراثها. استطاعت أخيرا أن تقول بلهجة ساخرة:

– من المؤكد أنك شاهدت الكثير من أفلام "همفري بوجارت"؟ أم قرأت الكثير من روايات عاطفية عفا عليها الدهر. إن إبراز الرجولة قد مضى عهدها من زمان.

صاح غاضبا:

– ولماذا "مايك" وليس أنا؟

هزت كتفيها بلا مبالاة. إذا كان متمسكا لهذه الدرجة بفكرة أن هناك علاقة حب بينها وبين "مايك" فلماذا لا تخدعه؟

– نعم.. إنني أحبه جدا.

– وأنا؟ لا تحبيني على الإطلاق؟

بل إنها تحبه.. نعم إنها تحبه ولكن "مايك" ليس خطيرا. يمكنها أن تقضي معه لحظات دون أن تعرض صحتها للخطر ولا مهنتها ولا مزاجها بينما مع "ڤانسي".. قالت محتجة:

– أنت الذي اقترحت وجود علاقة بيننا.

– لقد سمعت آخر كلماتكما يا "كارين".

– بالأمس كانت الرياح عنيفة لا تسمح بالعودة.

– قبل السادسة فعلا كانت الرياح عنيفة.

– لقد نمت على أريكة "مايك" لأن كل غرف الفنادق كانت مشغولة.

لامت نفسها في الحال؛ لأنها تبرر تصرفاتها له ولكن الأوان قد فات. كانت العينان الرماديتان قد صفتا وارتسمت ابتسامة على وجه "ڤانسي".

– بالنسبة لهذا الصباح يا "كارين" وبالنسبة لما بعد ظهر أمس ومساء الأحد.. أنا.. أنا آسف سامحيني!

قالت –وقد تأثرت ودهشت من مجهوده–:

– شكرا.

قال يتضرع إليها:

– ساعديني على أن أتخلص من غروري الرجولي.

– كيف؟

ثم هجم عليها وقبلها بقوة واستجابت لقبلاته ثم خرجت من حالة الذهول لتسأله:

– هل قلت ما كنت تريده؟

– أريد أكثر وأكثر.

www.elromancia.com

– "ڤانسي"!

– هل يجب علي أن أتضرع إليك؟ أن أصرخ؟ أن أبكي؟

أحست بارتباكه وارتياعه.

– حسنا... حسنا اتفقنا.... لا تقلق! من الآن سنتجنب هذه اللقاءات المتوحشة إلى حدما ،هيا أسرع.. هناك جدران لم يتم بناؤها وتحتاج إلى مزيد من الجهد.

الفصل السابع

ما إن تم وضع المكتب والأثاث الخاص بإقامة العمال في مساكن سابقة التجهيز حتى انطلق العمل في الموقع على أحسن حال.

وكانت نظرات "كارين" من حين لآخر تلمح خيال فارس وحيد يراقب في حزن من أعلى التل تطور العمل وتقدمه وحسب اتفاقهما كان كل منهما يتجنب رؤية الآخر ،وكانت تتناول إفطارها في كوخها البنجالو. وكانت "هيرا" تعد لها ساندوتشات من أجل الغداء وطبقا تسخنه في العشاء. هذا وقد أمر "ڤانسي" بتزويد الكوخ بثلاجة كهربائية وموقد ميكروويف. كان يخشى ألا تأكل جيدا أو بمعنى آخر كان يزيل أي وسيلة لتناول العشاء في البيت الكبير. ولم تكن تذهب إليه إلا عندما يذهب هو نفسه إلى "هونولولو" والتي زاد تردده عليها أخيرا.

وقد عانت "كارين" مشاكل جديدة بسبب ازدياد عداء العمال نحوها وعنادهم. هل عليها أن تعزو ذلك إلى كونها امرأة أم أنها آتية من الخارج؟ أو كذلك بسبب تأثير "چون أوميشي" السيئ.

كانت تعليقاته بذيئة ومعارضاته مستمرة وكأنها لا تكفيها متاعب. لقد صدم هو وأغلب العمال لأنها عينت ثلاث نساء من أجل الأعمال التي لا تتطلب خبرات وكفاءات خاصة. وكانت اثنتان منهن زوجتين لمهاجرين فلبينيين لجآ إلى الجزيرة ، ولكن الثلاثة حسب العقد كن يعشن من وقت طويل فوق الجزيرة.

وبسبب رد الفعل هذا تجنبت "كارين" أن تظهر أي تعاطف رغم أن ذلك أمر طبيعي تجاه النساء الوحيدات في الفريق. وقد عانت ذلك كثيرا وتساءلت هل كانوا سيعيبون على الرئيس الرجل لو تعاطف مع

www.elromancia.com

الرجال؟ لا بالتأكيد.

على أية حال سواء كانوا رجالا مغرورين أم لا كان الجميع يطيعون أوامرها ولا أحد ينكر كفاءتها ،وقد أدركت أخيرا أن "كانو" يحاول قدر المستطاع أن يهدئ النفوس. ولسوء الحظ فإن "چون أوميشي" كان رئيسا لـ"كانو" الأمر الذي حد من تأثيره إلى حد ما.

كان من المحتمل أن "أوميشي" يطمع في وظيفة "كارين" وجهل أنها إذا لم تفلح في القيام بوظيفتها فإن رئيس موقع آخر سيرسل من القارة الأمريكية بدلا منها ولن يحتل هو مكانها. وماعدا أيام الأحد التي كانت تذهب فيها للاستحمام في البحر كانت لا تقضي وقتا يذكر في التسلية والاستمتاع. وكانت تقوم بنزهة بسيطة على الأقدام أو تقرأ رواية أمام المدفأة ثم يغالبها النعاس.

وعندما عادت إلى بيتها بعد نهار شاق من العمل سمعت صوت أزيز طائرة جعلها تفزع. لو رحل "ڤانسي" تستطيع أن تتناول عشاءها مع "هيرا" التي وإن لم تكن ثرثارة إلا أنها كانت تستقبلها بود منذ أيام عديدة.

عندما وصلت إلى بابها سمعت اسمها يذكر فاستدارت وقالت لها "تامي":

– أتعشم أن تتناولي العشاء معنا الليلة.

كان أول رد فعل لـ"كارين" هو الرفض ثم قالت في نفسها: إن ذلك عمل صبياني وإن قبولها للدعوة سيظهر لـ"ڤانسي" أنها لم تعد تخشى مقابلته.

ردت:

– بكل سرور.. أخبرا "هيرا".

بعد تفكير ناضج ارتدت بلوزة وبنطلون أصفر واتجهت إلى البيت الكبير.

كان ستة من العمال جالسين أمام المائدة في قاعة الطعام. وأعد "ڤانسي" الكوكتيل بينما "چون أوميشي" و"كانو" يثرثران على الأريكة.

حيتهما "كارين" من بعيد. كان "چون أوميشي" رجلا مليحا ولكن صفاقته كانت تجعله غير مقبول، كان يتظاهر بأنه هدية السماء للإنسانية وخاصة للنساء. إنها أفكار سيئة عنه سرعان ما لامت "كارين" نفسها عليها. إنه يقوم بعمله وهذا هو المهم.

كانت "تامي" أجمل من أي وقت في الثوب الأخضر الذي أبرز جمال بشرتها الناعمة ذات اللون العنبري. وكانت "هيرا" التي انضمت إلى العشاء في منتهى الأناقة هي الأخرى. سألها "ڤانسي".

– ماذا تريدين أن تشربي؟

كان يستخدم صيغة المفرد كنوع من الألفة خوفا من أن يبدو مثيرا للسخرية. وقد سخرت هي من هذا المسلك. قالت له:

– عصير الأناناس المخمر.

ناولها كأسا واحتكت أصابعهما. هل لايزال يتذكر آخر مرة قدم لها فيها الشراب؟ نعم هذا ما تقوله عيناه، ابتعدت وذهبت لتفحص الأطباق المرصوصة على سطح موقد تسخين الأطباق: فخذ ضأن مشوي وشرائح الماهي ماهي. وبفتيك "سوكياكي" وأرز مفلفل. وسلطات منوعة وفواكه استوائية لختام الوجبة. صاح "ڤانسي":

– هيا إلى المائدة! إن العمال الذين هم أنتم لابد أنهم جوعى جوع الذئاب.

لم يحتج العمال إلى تكرار الدعوة وكان الطعام لذيذا وشهيا وقد هنأوا "هيرا" عليه بشدة.. دار الحديث حول موضوعات مختلفة جدا. وحاولت "كارين" قدر المستطاع أن تتجنب نظرات "ڤانسي".

كان أول تعليق غير لائق جاء من "چون أوميشي" بعد أن احتسى

www.elromancia.com

عدة كؤوس من الشراب القوي عندما أخذ يغازل "تامي" دون أي لباقة سواء بحركات فاحشة أو تعليقات لها مضامين سافلة. وقد أعجبت "كارين" من رصانة الفتاة الآسيوية الحسناء. لقد حصنتها مهنتها كمضيفة جوية ضد مثل هذا النوع من التصرفات الممجوجة.

وكان "ڤانسيي" يبدو على استعداد تام للانفجار وأوشكت الأمسية أن تفسد، قررت "كارين" أن تتدخل فقالت:

– لدي أمران أو ثلاثة أود أن أقولها لك بخصوص موقع العمل يا "چون".

سحبته نحو أحد الأركان في الحجرة وهمست له:

– من الآن فصاعدا عليك أن تلزم الهدوء.

– عن أي شيء تتحدثين؟

– إن "تامي" لا تهتم بك فدعها في سلام. أنت تفسد هكذا الأمسية.

نظر إليها نظرة احتقار وقال:

– إننا الآن لسنا في موقع العمل يا رئيسة!

– في موقع العمل أو في صالون.. أنت تمثل شركة "إيمو ڤاكانسي". وفي حالة الضرر فإن الشركة ستفضل أن تشتري قطعة من الأرض. لإنشاء ملعب جولف وعلينا أن نحافظ على العلاقات الحسنة مع الناس ذوي الصلة بها.

– علاقات حسنة؟ هذا ما أحاول أن أفعله اكتفت بأن صفعته وقالت له بجفاء:

– من الآن فصاعدا عليك أن تتركها في حالها مفهوم؟

– هل هذا أمر؟

– هل تريد أن أصدره إليك مكتوبا؟

حدج إليها في إصرار ثم قال بصوت بدأ يرق:

– موافق يا رئيسة.. لقد فهمت.

عادا وانضما للآخرين. نعس "چون أوميشي" بعض الوقت فوق الأريكة ثم تحجج بالتعب الشديد وانسحب. نهضت "كارين" بعد فترة قليلة فقالت لها "تامي" في همس:

– شكرا يا "كارين". لست أعرف ما الذي قلته له ولكنه كان قولا فعالا.

ردت "كارين":

– بل شكرا لك أنت التي لم تطرديه خارج الباب.

أضاء القمر الطريق المغطى بالأشجار. لم تضيء مصباحها الجيب البطارية ولم تلاحظ وجود "چون" الذي وصل إلى باب الكوخ "البنجالو". سألته:

– ما الذي تفعله هنا؟

– لقد أطعت أوامرك.

ردت –وهي تمسك بمفتاحها داخل جيبها–:

– لست أفهم.

– بعد أسابيع من تمثيل دور العذراء الخائفة أخيرا أفهمتني أنك ترغبيني أنا بمفردي.. وأنا تعبت من الانتظار.

ألقى بذراعيه فوق كتفيها وحاول تقبيلها أصيبت "كارين" بثورة من الغضب الشديد فركلته بقوة في ركبته ثم طعنته بالمفتاح. جرح المفتاح خد الشاب الذي تراجع وهو يمسك ببطنه بيد وخده بالثانية وقال مهددا:

– هذه الضربة.. ستدفعين ثمنها.

– هل لديك رغبة في أن تقيم بعض الوقت في السجن؟

قال –وهو يضغط على أسنانه–:

– ومن سيصدقك؟ لقد رأيتك وأنت تتدحرجين وسط الطين مع

www.elromancia.com

"فانسي" ورأيتك تغازلين الطيار للطائرة "السيسنا" وأستطيع أن أكون الثالث.

ذهلت وأحست بالغثيان وصمتت لحظات قبل أن تقول:

– لا يهم ما رأيته ولا يهم ما تخيلته.. أنت بالذات في جميع الأحوال تثير غثياني وتقززي.

– هذا المساء رآك الجميع تأخذيني على جانب ولن يصدق أحد أنك لست موافقة.

اندفع مرة ثانية نحو "كارين" ولكنها هذه المرة استقبلته بلكمة شديدة وصاعقة أسفل أنفه وجاءت اللكمة مؤلمة للغاية كما سبق أن قال لها عنها مدربها في الدفاع عن النفس.

ترنح "جون" وكان بإمكانها أن توجه له لكمات أخرى ولكنها فضلت أن تفتح الباب وتغلقه عليها.

ظلت دقائق وأنفاسها متقطعة وهي تصيخ السمع، سمعت صوت أقدام ثم اختفت. تساءلت هل سيعود ومعه النجدة والدعم؟ لا.. إن موقفه لاشك سيصبح مؤسفا ومخجلا.

ولكن ربما حاول أن يكسر الباب بعد أن يحضر عتلة وكان خشب الباب خفيفا ولن يقاوم الضغط الشديد.

ارتجفت من الغضب والرعب وفكرت في أن تصرخ ولكن من سيسمعها؟ إن البيت الكبير بعيد جدا ولابد أن كل الناس نائمون.

سادها الاضطراب والتشوش. ودت لو لجأت بالقرب من "فانسي". وحتى تحقق ذلك لابد أن تتأكد من رحيل "جون". ثم لو أن "فانسي" نفسه حاول أن يغتصبها هو أيضا لأنه يعتبرها مجرد امرأة تسلية؟ إنه لا يحبها ،لا أحد يحبها.. أخذت تنشج وتكرر.. لا أحد.

قضت "كارين" ليلة سيئة للغاية وفي يدها مطرقة وفي اليد الأخرى

سيخ تقليب النار.

وفي الصباح وصل "جون أوميشي" إلى مكتب موقع العمل متأخرا جدا. صاح "كانو" وهو يلاحظ خده الممزق:

– ما الذي جرى لك؟

قالت "كارين" معلقة:

– وسط الليل لا يميز المرء الأشجار ذات الأشواك.

واجهها "جون" فاتسعت حدقتاها. رأت ورما أزرق يميل إلى البنفسجي يزين خده الآخر الذي تتذكر جيدا أنها لم تلكمه فيه.

قال "جون" آمرا:

– "كانو" ! اذهب لترى ماذا تفعل النساء الثلاث ولا تغفل عيناك عنهن طوال النهار.

نظر "كانو" لـ"كارين" نظرة تساؤل فقالت:

– لقد أعطيتك برنامج هذا النهار فالتزم به.

حياها الهاوايي برأسه ثم خرج. بدأت تقول:

– لو حدث أبدا أن..

قاطعها "جون".

– إنك لن تستطيعي طردي. لقد قصصت على الناس نصف عدد عشاقك وإنك أوسعتني ضربا؛ لأنني رفضت الاستسلام لك واتباعك إلى داخل حجرتك.

ظلت بلا صوت فأضاف:

– أنا متزوج.. هل تعرفين ذلك؟

قالت "كارين":

– المسكينة! إنني أرثي لها بإخلاص. والآن اسمع ما سأقوله لك. أنا رئيستك وأنت تجرأت ورفعت يدك علي، ولكننا لسنا في الجيش وحادثة الأمس حدثت خارج نطاق العمل وفي غير أوقاته وأنت

www.elromancia.com

كنت ثملا. ويقولون إن للقمر تاثيرات على بعض الأشخاص، باختصار أعترف بان الظروف كانت ضدك ومع ذلك تذكر أنك لازلت في فترة الاختبار، وعند أقل حركة عدوانية أنت مطرود، وإذا ما حاولت الاعتداء جسديا أو بالكلام على أية امرأة أخرى هنا أو في أي مكان أنت مطرود، والآن وقد عرفت أنك متزوج فإنني لن أغفر لك أي هفوة. وأخيرا لابد ان يكون عملك كاملا بلا أي خطأ لأنه يجب عليك ألا تضغط علي أكثر من اللازم حتى أوقع أمر طردك.

سكتت فترة ثم جمعت أوراقها المكومة فوق مكتبها ثم استطردت:

– وأخيرا.. كف عن قص تفاهاتك حولي. كل الناس يعرفون أنك لا تهمني على الإطلاق. وهم يعرفون أيضا أنك تلهث كالكلب وراء كل من ترتدي "چيبة".

حدج إليها "چون" بنظرة قاتلة ولكنه امتنع عن الرد. وعندما ترك الحجرة ألقت "كارين" برأسها على مسند مقعدها. وأخذت أصابعها تلعب في عصبية بقلم. أحست بغصة في حلقها والحرارة في خديها ساخنة، وحاولت أن تسترد هدوءها، حاولت التظاهر بعدم الاكتراث وإن لم تحس بذلك لابد أن العمال تبادلوا حكايات "چون" القذرة، ومواجهتهم ومواجهة رفضهم لصداقتها كان بمثابة محنة تعانيها وتخشاها.

ومع ذلك كانت لديها مصلحة في أن تطفئ النار المشتعلة. وحتى في مجلس الإدارة كانوا يخشون من أن منح هذه الوظيفة لامرأة قد يجلب المشاكل.. ومن أجل مهنتها ومن أجل كل النساء اللاتي يمتهن مهنا مثلها كان على الشابة ضرورة أن تظهر أنها قادرة على قيادة الفريق الرجالي دون مواجهة أو متاعب، وكان عليها إذن أن تكذب عن طريق الإنكار لكل تلك الحكايات المغرضة والسافلة.

إنها ستكتب تقريرا ولكنها ستحتفظ به في درجها في بيتها وسيكون سلاحا لن تستخدمه إلا كسلاح أخير.

كانت الأيام التالية هادئة. ولم يوجد أي عصيان ملحوظ، ولكن نوعا من عدم الاكتراث أدى إلى فرملة سير الأعمال. وقد أتم "چون أوميشي" عمله وهو يتجنب "كارين".

وكان المبنى الغربي المسمى رقم واحد قد أوشك أن يتم الانتهاء منه من الخارج والداخل، وأكبر أعمال المبنى الرئيسي أو رقم اثنين كان يسير سيرا حسنا. وكانت المواد المخصصة للتأثيث الداخلي قد وضعت في مخزن منعزل.

وكان العمال يجمعون آلاتهم عندما أرادت "كارين" التفتيش عن شيء، وعندما فتحت المخزن شحب وجهها مما رأته.

جرت إلى مكتبها وراجعت ملف الطلبيات والفواتير واستمرت في تحرياتها في اليوم التالي بسؤال "كانو" الذي كانت تثق به تمام الثقة، وأجرت مكالمة تليفونية إلى "مينيابوليس" ثم استدعت "چون أوميشي" وقالت له –وهو يسحب لنفسه مقعدا.

– لا داعي للجلوس فإن المقابلة مقتضبة. لقد تم اكتشاف سرقتك. لقد اتصلت بـ"جوردان ناش" وهو يظن أن شكوى إلى الشرطة وكل ما يليها ستكون وصمة في جبين وسمعة الشركة وأنا كنت أفضل أن ألقي بك في السجن مع عقوبة قصوى.. لقد عرضت للخطر حياة أشخاص وهو أمر لا يغتفر.

عندما فكر وطالب ببراهين عرضت عليه "كارين" نتيجة تحرياتها: من استبدال للمواد الممتازة بأخرى رديئة ولاشك أن فرق السعر لم يضع على كل الناس، والتركيبات الكهربائية وبخاصة الكابلات غير المطابقة يمكن أن تؤدي إلى حرائق. ولكن "چون" استمر في إنكاره. فصاحت فيه:

– أنت إذن لم تفهم. إن لدي الإثباتات. وأنت مفصول نهائيا وبلا رجعة. أعد أمتعتك وهيا اذهب إلى غير رجعة. وإذا رأيتك ثانية في الموقع فإنني سأستدعي الشرطة.

اتجه إلى الباب ثم استدار في تردد قائلا:

– كل الناس سيعرفون أن امرأة محبطة لم أحقق لها أغراضها هي التي طردتني.. واعتمدي علي!

ظلت "كارين" بمفردها لمدة خمس دقائق قبل أن تكتشف أن القلم الرصاص ليسفي يدها كان قلما من الحبر الجاف وهي تحاول أن تبريه.

*****

ظل كلام "چون أوميشي" المقلق بلا تأثير ولم تقل سلطة "كارين" بل بدا لها أنهم ينظرون إليها بكل احترام. تساءلت هل يتهامسون من وراء ظهرها؟ هذا أمر ممكن الحدوث. وأحيانا كانت مجموعات صغيرة تتفرق عند رؤيتها. وقد فضلت ألا تلاحظ وبدأت حكايات "چون" التي لوثت سمعتها تختفي سريعا وانهمكت في العمل.

تحسن الطقس واستطاعوا أن يعوضوا التأخير الذي كان بسبب الأمطار في أيام بداية العمل.

وغرقت "كارين" كل ليلة في نوم خال من الأحلام وبعد أسبوع أوكلت مهمة "چون أوميشي" إلى "كانو" وطلبت منه أن يختار من يحل محله كرئيس للعمال. فقدم لها رجلا مظهره ضعيف ولكنه كفء تماما اسمه "إيزيدورو" والذي كان من أصل فلبيني.

بدا العمال راضين من هذه التغيرات. وفي الأسبوع التالي كانت منهمكة في العمل عندما رأت "كانو" يدخل المكتب، صاحت فيه

وهي تبتسم:

– ما الذي تفعله هنا؟ لا يوجد سوى كبار الرؤساء هم الذين يعملون في عطلة نهاية الأسبوع.

رد عليها –وهو يضع كيسا أمامها–:

– لقد أحضرت لك غذاءك. إنك تقريبا لم تأكلي شيئا في الأيام الأخيرة وهذا سيسمح لك بأن تنتظري حتى "لوالا" هذا المساء.

– وما هو "لوالا" هذا؟

– إنه حفل يقيمه الأصدقاء بمناسبة العيد الخامس والعشرين من الزواج. وسيوجد العديد من الأشخاص، وستجدين عددا لا بأس به من موظفيك.

غامت ابتسامة "كارين" وقالت:

– لا أستطيع.

– لماذا؟

– أولا أنا لست مدعوة.

– بل أنت مدعوة. أنا أدعوك. وهنا الجميع مرحب بحضورك.

قالت له مصححة في نفسها:

– ليس كل الناس. ثم أضافت بصوت مرتفع:

– ثم إن لدي عملا.

مال عليها وأمسك بيدها في ود:

– أعلم لماذا لا تريدين الحضور ولكن يجب أن تحضري لقد فعلت كل ما باستطاعتي لهدم كل أكاذيب "چون" والقليلون جدا يصدقونه. وعلى أية حال ليس باختبائك يمكنك أن تقنعيهم بأكاذيبه.

نجح "كانو" في جداله.

أخذت وقتا طويلا لتستعد في عناية. ارتدت الثوب الطويل الذي

www.elromancia.com

اشترته من "كاناكاي" مع استخدام الشامبو في غسيل الشعر وتمشيطه بعناية مع زينة معتنى بها وعقد من الذهب أرسله لها "بين" في عيد الكريسماس. والنتيجة كانت مطمئنة حول إمكاناتها الجمالية والإغرائية ولكن للأسف لا يوجد شخص تغريه.

بعد حوالي ساعة من الطريق بالسيارة دخلت سيارة "كانو" في طريق ضيق متعرج ووقفت أمام منزل متواضع المظهر. وكان حوالي مائة شخص يسارعون إلى الحديقة.

قدمها "كانو" لضيوفه وهناتهم "كارين" لقد كانت خمسة وعشرون عاما من الزواج شيئا نادرا على هذه الجزيرة التي لم تسمع فيها إلا عن الطلاق ووعدت نفسها بأن تشتري لهم هدايا في المرة القادمة التي تذهب فيها للمدينة.

برزت بعض الوجوه المعروفة لها من بين الجمهور من بنائين وسباكين وكهربائيين ممن يعملون في الموقع وقدموا لها زوجاتهم وأطفالهم ولكن بطريقة متكلفة ومشدودة وكأنهم يؤدون مهمة إجبارية. وأيا كان ما قاله "كانو" فإنها لم تكن موضع ترحيب. ولا شك أن أقوال "أوميشي" وجدت صدى عندهم. إنهم لم يغفروا لها أبدا كونها دخيلة ،وأعمال إزالة الأشجار وآلات البلدوزرات وأول جدران من الأسمنت المسلح التي ارتفعت في مواجهة البحر.

لم يتركها "كانو" قيد أنملة وحاول تسليتها. قالت -وقد لاحظت وجود "هيرا" بالقرب من البوفيه-:

- اذهب وانضم إليهم. إنني أتصرف بمفردي.

تردد لحظات ثم قبل اقتراحها:

- حسنا موافق وساعود بعد قليل.

كانت المصابيح الكهربائية تضيء البوفيه ولكن بقية الحديقة ظلت وسط العتمة والتي لم يكن يخترقها سوى نور المشاعل الموجودة هنا

وهناك ،وكان الجمهور في أحد الأركان أقل كثافة فقررت اللجوء إليه.. وهناك رأته! إنه "ڤانسي وارنر" وهو أجمل من أي وقت مضى وهو يتحدث في ود مع سادة البيت. وكان على ضوء المشاعل وقد بدا شعره شبه أحمر وقسمات وجهه واضحة ومتناسقة وجسده تبدو عليه القوة والرشاقة لم يسبق لها أن رأت مثلها.

لو حاول ذلك الشاب المليح الموجود أمامها الآن أن يغازلها لما صدته. إنها لن تخسر شيئا وهي تعرف ذلك.

لم تكن "تامي" ظاهرة ولكن ذلك لم يدم كثيرا وهي تعرف ذلك أيضا. أحست بالارتباك واتجهت نحو ركن الحديقة الذي لا يضيئه شيء واستندت إلى جذع شجرة. كان يكفيها أن تنتظر هكذا بعض الوقت ثم تذهب لمقابلة "كانو" وأن تعتذر بحجة أنها تشعر بالتعب. وهو لن يدهش فقد رآها بنفسه تعمل بهمة ونشاط طوال الأسبوع.

فزعت وارتجفت ركبتاها عندما سمعت من يقول:

- مساء الخير.

- "ڤانسي"! أوه.. مرحبا.

- ألم تتعلمي بعد أن تقولي "ألوها"؟ إنها كلمة معروفة ومتداولة وهي تعني "يومك سعيد" أو "مرحبا بك" أو أيضا "أحبك".

- أو أيضا وداعا!

- أرى أن نعومة اللغة المحلية وأسرارها لم تفت عليك. وأنا أيضا كنت أقول ذلك.

أصابها رعب عندما اقترب منها أكثر فقالت:

- هل تتجنبني بسبب "أوميشي"؟

لم تستطع أن تمنع نفسها من صده... إن "ڤانسي" كان يعتبرها دائما فريسة سهلة وهو ليس في حاجة لأكاذيب "چون أوميشي".

- هذا القذر؟ ذلك الوحش؟ أنا لم أسمع تلك القصة سوى اليوم

يا "كارين" وإلا فإنني أؤكد لك..

كان الغضب يجعله يهتز ويرتجف. سألته:

– هل سمعت ما قصه؟ وهل لا تعتقد أنني مذنبة؟

– لقد رأيت كل شيء في تلك الأمسية.. لقد خرجت لأشكرك لأنك جعلته يبقى ساكنا.. حسنا وأردت أيضا أن أقابلك للحظات. ثم رأيتكما أنتما الاثنين. في البداية اعتقدت أنك موافقة لا... ! لا تغضبي! أنا لم أصدقه وقتا طويلا ولابد أنك طردته.

قالت له في قنوط:

– على أية حال شكرا على معرفتك.

قال محتجا على تهكمها:

– على أية حال أنا قلت: إنك لست في حاجة إلي، ثم في تلك الأمسية أثبت أنك لست فعلا في حاجة إلى أية مساعدة.

– إن المساعدة المعنوية كانت ستلقى الترحيب مني.

– آه.. حقا؟ آه علمت.. سامحيني.. أنا لم أجرؤ على التدخل.

تشابكت أصابعه مع أصابع "كارين" واختفى الضجيج والضحك والمرح والأضواء وأحسا بأنهما بمفردهما فوق الجزيرة. سمعا صوت طرقات متوالية فوق صندوق جعلتهما يفيقان. قال لها "ڤانسي" في أسف:

– لابد من الذهاب إليهم. إن اللحم المقدد أصبح مستعدا وسيخرجونه الآن من الفرن.

خطا معها بضع خطوات نحو الجمهور وأضاف:

– لابد أن أحدد أنه عندما أغلقت بابك عليك في بيتك فإنني أكملت عملي.

سألته –وهي تمنعه من التقدم–:

– كيف؟

– تذكري أنك ضربت أحد خديه وأنا جرحت الآخر.

انفجرت ضاحكة. يا للمسكين "چون أوميشي"! لعل هذا يصلح درسا قاسيا له.

استأنف "ڤانسي" حديثه دون أن ينظر إليها:

– بعد ذلك عدت إلى بيتي ولكني لم أغلق الباب كنت أنتظر مالا أدريه.. أن تأتي بحثا عن الدعم. ولكنك لم تحضري وعرفت من ذلك أنك لم تعودي فعلا في حاجة إلي.

لم تعرف ماذا تقول وإنما ضغطت على يده. عثر لها "ڤانسي" على مقعد ذي مسندين تستطيع منه أن تشاهد الاحتفال.

رأت أربعة رجال يصبون الماء على أحجار ملتهبة قال لها "ڤانسي":

– إنه نوع من الكانون أو الفرن الريفي ونسميه هنا "إيمو" وفيه نشوي اللحم المقدد مع مختلف الخضراوات ويغطى بالأحجار الساخنة وأوراق شجر الموز وعملية النضج تأخذ طوال النهار مما يعطي اللحم نعومة شديدة ودسما كبيرا. تعالي إنهم سيقطعونه.. هيا لنأخذ دورنا.

انضما إلى الصف أمام البوفيه. وسمعا من يقول:

– مرحبا... لقد وددت أن أصل مبكرا ولكني اضطررت للقيام برحلة طيران في آخر لحظة.

أحست "كارين" بيد "ڤانسي" تتركها وقال –بصوت خافت غير مسموع–:

– أنا لم أتوقع أن أراك هنا.

قال "مايك" شارحا:

– لقد تلقيت دعوة خاصة.

قال "ڤانسي":

www.elromancia.com

– مادمت هنا الآن فاهتم بـ"كارين" فإنني أتركها في رعايتك.. لابد أن أذهب لأحيي بعض الأصدقاء.

ها هو مرة أخرى غير قابل للإصلاح.. ها هو مرة أخرى يسيء الفهم بحماقة ويتخذ أحكاما متسرعة. أحست "كارين" بأن قلبها يرتجف داخل صدرها. إن ذلك الذي يدعي أنه يعرف كل شيء لا يطلب أي تفسير. وهي ليست امرأة من النوع الذي يجري وراءه ويتضرع إليه لكي يستمع إلى تفسيرها. قالت:

– "مايك" أنا متعبة.. هل يمكن أن تعيدني؟

احتج قائلا:

– ولكننا لم نتناول العشاء بعد!

– هذا صحيح.. أرجو المعذرة.

كان عليها أن تبدو شجاعة وأن تثبت لـ"ڤانسي" أن سوء فهمه وحماقته لن يمنعاها من قضاء سهرة جميلة. غطت أطباق منوعة مائدة البوفيه من لحم مقدد ودجاج وسمك "سومون" وخضراوات وفواكه غريبة غير مألوفة وخبز وفطائر دسمة.

ترددت "كارين" في أن تأخذ طعامها وأخذت قطعة مما يشبه عجينة أرجوانية نصحها "مايك" قائلا:

– برقة.. إنه طبق خاص وليس الجميع يحبونه!

– وما هو:

– إنه "بوا" وهو نوع من عجينة جذور نبات "التارو" هل أحببته؟

هزت "كارين" رأسها علامة الرفض.. لقد كان ماسخا بلا طعم. أزاحت بقيته إلى جانب الطبق وأخذت قطعة من الدجاج. اختفى الجوع عنها بنفس السرعة الرهيبة التي اختفى عنها المرح الذي كانت تشعر به من دقائق. أما "مايك" فقد أخذ من الطعام ثلاث مرات. كررت عليه عندما اعتقدت أنه شبع من الطعام:

– هل يمكنك أن تعيدني الآن؟

– وماذا عن العرض؟ سيقدم أغاني ورقصات ولابد أن ذلك سيكون مسليا جدا.

– ليس بالنسبة لي.. كيف أقول لك.. إنني لا أحس بأنني مرحب بي هنا.

حاول أن يغريها بالبقاء ولكنها أصرت.. ذهبت "كارين" لتحية سادة البيت المحتفى بهم ثم أخطرت "كانو" أن "مايك" سيعيدها لبيتها. وقد بدا مندهشا لأن "ڤانسي" لم يقم بذلك.

وكان الأخير واقفا عند المدخل فلم تستطع تجنبه.

– هل سترحلين هكذا بسرعة؟

رد "مايك":

– إنها تلح علي من ساعة حتى أعيدها.

تحول لون عيني "ڤانسي" إلى السواد. وعندما أصبحت في الطريق التفتت للخلف. كان لايزال يراقبها فارتجفت وسارعت نحو سيارة "مايك".

وطوال الرحلة تساءلت عدة مرات لماذا لا تستطيع أن تهتم بشاب مليح ورائع مثل "مايك"؟ لقد كان ودودا وحبوبا وسهل الحياة ومرحا ومهتما.

قال لها فجأة:

– بالمناسبة هل رأيت مرة ثانية تلك الفتاة الآسيوية الجذابة التي قابلناها في يوم في "أوبرج منتصف الليل"؟ إنها المرأة الثانية في حياتي بعدك بالتأكيد!

– "تامي"؟

– نعم. لقد قابلتها مرة ثانية.. إنها خرافية ونحن نخرج معا كلما جاءت إلى "هونولولو". ثم إنها هي التي دعتني لهذه السهرة هذه

www.elromancia.com

الليلة. وكانت تريد الحضور ولكنها اضطرت لأن تحل محل مضيفة في رحلة إلى "هونغ كونغ". أما أنا فإنني أعشق هذا النوع من الاحتفالات ولذلك حضرت.

ندمت "كارين" لعدم وجود "ڤانسي" في هذه اللحظة ليسمع ما سمعته. ولكن لا.. إن ذلك أيضا أمر جيد.. لابد أن "تامي" لاحظت أن "ڤانسي" مهتم بشخص آخر وأرادت أن تجعله يشعر بالغيرة بأن تصاحب "مايك" وتخرج معه.. على أية حال أصبح الموضوع متشابكا ومثيرا للحيرة. سألته:

– هل أنت جاد في علاقتك مع "تامي"؟

اعترف:

– لست أدري بعد... ربما.

عند وصولهما دعته إلى كوب من الشاي المثلج وقص عليها بعض الطرائف حول رحلاته الأخيرة ثم خرج فتبعته إلى الخارج وقال لها – وهو يقبلها على خدها–:

– إلى اللقاء قريبا.

لم تمنع نفسها من أن تنظر إلى البيت الكبير وسط العتمة. رأت شيئا أو شخصا يتحرك في الشرفة، ربما كان قطا أو ما شابه ذلك، ودعت "مايك" ثم أغلقت باب بيتها عليها.

الفصل الثامن

بزغ الفجر عندما استطاعت "كارين" أن تنام وكانت الساعة العاشرة عندما استيقظت. وكانت أشعة الشمس تغرق الغرفة ولكن عندما شدت الستائر اكتشفت أن السحب لازالت ملبّدة فوق التلال.

إنه نهار جميل على أية حال وعليها أن تستفيد منه لتبتعد قدر المستطاع عن الأملاك وتزور الحدود الشرقية للجزيرة. ارتدت مايوه السباحة تحت ملابسها، ولما كانت تنوي أن تسير حتى الشلالات في "موالا" فقد ارتدت حذاء التنس.

كانت ثلاجتها الكهربائية خالية فذهبت لتطرق باب المطبخ في البيت الكبير وكانت "هيرا" تغني في مرح.

– هل هذه أنت؟ ادخلي..

– أحب أن أعد وجبة رحلة فإنني سأقضي النهار عند ناحية الشلالات في "موالا" وليس لدي تموين.

– بالتأكيد، غير أنني التي سأعدها لك.. هل أفطرت؟

– لايزال عندي بطاطس وتفاح وقد أكلت واحدة.

– هيا.. هيا اجلسي.. إذا كنت تنوين قضاء النهار في الخضرة فتلزمك وجبة دسمة.

كانت الوجبة فعلا دسمة ولكن رحيلها تأخر.. وكانت مكونة من العجة باللحم المقدد والتوست وعصير البرتقال والقهوة الأمر الذي جعلها لا تبدأ الرحلة إلا في منتصف النهار.

خلال ساعات توالت عليها المطبات والحفر وأعشاش الطيور والفخاخ والمرتفعات والمنخفضات، وبدأت "كارين" تتساءل عما إذا كانت

www.elromancia.com

ستتوقف أخيرا عندما أصبح الطريق ناعما ومستقيما. وكان أحد الموظفين الروتينيين خشي ألا يصل السياح إلى نهاية صبرهم قبل نهاية الجزيرة.

رأت فيافي حمراء وصخورا سوداء وزهور الفوجير البنفسجية وأصبح المنظر الطبيعي ملونا، وسرعان ما غطي الجانب الأيسر من الطريق بالخضرة الفاخرة وتتلوى مع الطريق كالثعبان حتى وادي "حلاوة" حيث تحولت إلى غابة عذراء.

وعن اليمين ظهر الشاطئ الرملي الأشقر حيث الأمواج تأتي متتابعة من عرض البحر. وكان ثلاثة صبية يلعبون رياضة التزحلق على الماء وهم يطلقون صيحات المرح. وقفت "كارين" بسيارتها بدا أن الصبية يتمتعون جدا وتساءلت إن كانت عجوزا جدا على الاشتراك في تلك الرياضة.

أخرجت كيس الطعام والتموين من حقيبة السيارة الخلفية واتخذت الطريق نحو شلالات "موالا" وبعد ثلاثة كيلو مترات من السير انفتحت شهيتها.

كانت أرض الطريق لم تنته بعد من ابتلاع مياه الأمطار الأخيرة. وظهرت كنيسة صغيرة وسط مجموعة من الشجيرات، وعن بعد رأت "كارين" مجموعة من ثلاثة منازل. ثم رأت جدولا لم يذكره أي مرشد سياحي. وكان عبوره محفوفا بالخطر بسبب الصخور والحصى وسط التيار، وعندما وصلت إلى الجانب الآخر وقد ابتلت حتى ركبتيها أحست الشابة بانها مثل المستكشفين.

اشتدت حدة الرياح ولكنها لم تهتم بها. إنها إحدى صفات الجو المحلي التي بدأت تتعود عليها. ومع ذلك اضطرتها رخة أمطار شديدة إلى اللجوء إلى أسفل أوراق شجرة موز ضخمة. ثم ظهرت الشمس ثانية في خجل فاستأنفت السير.

كانت الشمس ساطعة بقوة عندما وصلت أخيرا إلى الشلالات.. رأت سبعة مساقط مائية تنتهي إلى بحيرة واسعة، كان المنظر خلابا فغرت "كارين" فمها أمامه. ندمت لفترة وجيزة لأن "فانسي" ليس بجوارها ليشاركها انفعالها ث،م لامت نفسها على لحظة الضعف هذه.

خلعت حذاءها وغمست كعبيها في الماء. كانت الحرارة مقبولة ثم بدأت تخلع ملابسها. قال لها صوت معروف:

- لا.. لا يمكنك أن تفعلي ذلك!

إنه "فانسي وارنر"! هل يكفي أن تفكر فيه حتى يظهر؟ كان واضعا قبضتيه في وسطه وهو يضحك وملابسه مبتلة تلتصق بجسده القوي. سألته:

- هل هذه أملاك خاصة؟

- لا.. ولكن لابد أنك لا ترغبين أن ياكلك التنين على ما أظن.

- التنين؟

- إنه يعيش في كهف في آخر البحيرة، وقبل أن تستحمي يجب عليك أن تطلبي منه الإذن بأن تلقي إلى الماء ورقة شجرة، فإذا عامت فهذه علامة جيدة وفي نفس الوقت فإن ورقة الشجر تصلح لشخصين. فهل تسمحين لي بأن أسبح معك؟

بعد كل هذه الكيلو مترات التي قطعتها لتبتعد عن "فانسي" أحست الشابة بنفاد الصبر. كيف تأمل أن تنساه وهو لا يكف عن الظهور في طريقها.

قالت:

- في الحقيقة إذا كنت قد أتيت إلى هنا فإن ذلك من أجل الحصول على الوحدة والهدوء.

صاح في دهشة:

– الوحدة وسط أكثر الجهات السياحية في "مولوكي"؟ إنه لأمر غير عادي فعلا أن نكون فيها بمفردنا. هل وجودي هو الذي يمنعك من الاسترخاء؟

هزت كتفيها وهي تشعر بالانهزام.

– حسنا.. افعل ما شئت. وعلى أية حال مادامت هذه ليست بحيرة خاصة فأنت في بيتك أكثر مني.

غطست في مياه البحيرة وهي لا تهتم بتجربة ورقة الشجر ولا الحصول على إذن التنين.

ليأكلها التنين! فإن ذلك لن يكون أسوأ من مطاردة "ڤانسي" لها جسديا ونفسيا.

عبرت البحيرة سباحة ثم عادت إلى منتصفها حيث عامت على ظهرها. وكان الماء منعشا بطريقة لذيذة. كانت عيناها شبه مغمضتين وهي تراقب "ڤانسي" يخلع قميصه وظهر صدره القوي.. انتظرت "كارين" فخلع حزام بنطلونه. تساءلت هل كان يتوقع أن يسبح؟ نعم.. لقد ظهر تحت البنطلون مايوه أحمر وقفز إلى الماء.

سارعت "كارين" بالسباحة إلى الجانب الآخر من البحيرة ولحق بها "ڤانسي" في لحظات ودس ذراعه حول وسطها وقال مقترحا:

– لنفعل وكأننا سائحان التقيا بالمصادفة.

– ولكنك لست سائحا.

– ربما ولكن المنظر سحرني.. وعلى أيه حال فإن بشرتك لم تتلون باللون البرنزي بالدرجة الكافية.

ومع ذلك لم تكن بشرتها بيضاء كما كانت عند وصولها. أحست بأن المياه تغمر رأسها وكان التنين فعلا يسحبها إلى جحره فصاحت وهي تضحك:

– النجدة!

قال –معلقا وهو يضحك–:

– إنه شديد الخطورة.. أليس كذلك؟

ألقت في وجهه بدفعة من المياه ثم ابتعدت وأمسك بكعب قدمها فعادت إليه وهي تنتظر أن يقبلها ولكنها تلقت دفعة مثلجة من الماء في وجهها. وبعد فترة من اللعب بهذه الطريقة خرج "ڤانسي" من الماء ومد يد الإنقاذ لـ"كارين" قالت له:

– هيا لنتمدد فوق الصخور لنجف مثل "الأنينجا".

– "الأنينجا"؟

– إنها طيور ضخمة تعيش في "فلوريدا". إنها تغطس للإمساك بالسمك ثم تأخذ حماما شمسيا وقد فردت أجنحتها وتبدو مثل "دراكولا" في عباءته السوداء.

– وهل عشت في "فلوريدا"؟

– في "فلوريدا" وأماكن أخرى.

قدمت له ملخصا عن الأماكن التي زارتها فقال لها:

– لقد تجولت كثيرا وقمت بالعديد من الرحلات ومع ذلك لم تنتهي بعد فإن العالم في انتظارك.

هزت رأسها علامة الإيجاب وتمددت فوق صخرة. قال لها:

– تمددي فوق قميصي.. إنه لايزال مبتلا ولكنه سيكون أكثر راحة لأنك لازلت رقيقة. وهشة وجميلة جدا وبيضاء جدا..

– لا.. أرجوك.. ليس هذا مكان لتبادل الغزل..

توقف عن أي حركة أو التنفس.. وكشف تنفسه المتقطع عن مدى انفعاله وقال –وهو يبتعد–:

– الحق معك يا عزيزتي.

ساعدها في أسف على الهبوط من فوق صخرتها وقالت له:

– إن قميصك لايزال مبتلا أكثر من ملابسي هل هذا بسبب

الأمطار؟

– نعم ولكني لا أشكو ذلك.. وبسبب الأمطار أيضا أنا موجود هنا.

– وكيف هذا؟

– ستفهمين عند العودة.

سألته:

– هل أنت جائع؟ يمكننا أن نلتهم الوجبة التي أعدتها لنا "هيرا" وهي سندوتشات وشاي مثلج وفواكه.

– نعم ولكن ارتدي بقية ملابسك حتى لا تلتهب بشرتك.

ابتسمت وأطاعته. جلس على الأرض وقد أسند ظهره إلى جذع نخلة وقد عقد ذراعيه على صدره.

أخذ يتأملها وهو ذاهل ثم ألقت ببلوزتها في وجهه قائلة:

– ارتد هذه.. إن جسدك بدأ يحمر دقيقة بعد أخرى.

سألها:

– وأنت هل ستظلين بالمايوه؟

– إنني لا أصاب أبدا بضربة الشمس.. هل يقلقك أن أظل جالسة بالمايوه؟

ناولته ساندوتشا وقالت له:

– هيا خذ هذا.

كان الخبز مبتلا بعض الشيء والمايونيز خرج من وسط الخبز والسلطة تناثرت خارج شرائح الخبز ومع ذلك وجدا الوجبة لذيذة بسبب الجوع.

– والآن حان وقت القيلولة.. هيا تمددي على العشب.

– أحقا ما تقوله؟ إنني أخشى أن تكون القيلولة أكثر تعبا. ومن الأفضل أن نستأنف طريق العودة!

– هكذا بسرعة؟ هل أنت خائفة مني؟

– بالتأكيد لا..

تمددت وسرعان ما استغرقت في النعاس وعندما استيقظت بعد فترة قصيرة همس لها:

– كم هو رائع أن أتأملك وأنت ناعسة. كم كنت أود من صميم قلبي أن أدعك تستريحين ولكن وقت العودة حان.. لقد تأخر الوقت.

ارتدى ملابسه التي لاتزال مبتلة وألقى بكيس الساندوتشات الفارغ في سلة مهملات معدنية وضعت من أجل ذلك..

بدأ السير وقد تشابكت يداهما وكان الطريق الجبلي مغطى بالمياه، وسعدت "كارين" لأنها ارتدت حذاء التنس الذي يسهل غسله ولاحظت أن "فانسي" حذا حذوها.

كانت زرقة السماء يتخللها اللون الأحمر وعندما اقتربا من جدول الماء رأت قوس قزح في الأفق فقال "فانسي":

– في "مولوكي" ظهور قوس قزح يجلب السعادة. انتظريني هنا وساعود بسرعة.

اختفى خلف مجموعة من الشجيرات وسمعته يأتي ببعض الحركات ثم خرج من وراء الشجيرات وحول ذراعه التف حبل كبير وقال:

– هذا هو "البنيولو" لتحقيق رغبات السيدة، هل تحبين أن أجلب لك قوس قزح به؟

– أفضل أن تبقى معي. ثم من أين حصلت على الحبل. ربما كان في مكانه يجلب الحظ للجميع ولكن أخبرني لماذا تخفي هذا الحبل في الشجيرات؟

– ستفهمين خلال دقيقتين.

www.elromancia.com

ربط طرف الحبل حول شجرة أوراقها غضة وشرح:

– إن شجرة "الكوكوي" هي رمز ولاية "هاواي" وذلك لأننا نعتمد عليها ولا يمكن أن تدعنا نسقط.

رأت "كارين" أن تعبيره الملتوي أصبح حقيقة عندما شاهدت جدول المياه وقد أصبح طوفانا من المياه غطى سطح الهضبة بأمواج هادرة وأصبح قاع الجدول غير مرئي. همست في رعب:

– يا إلهي! لقد كان من المستحيل أن أعود بمفردي.

– الأسوأ أن تحاولي فتذهبي إلى المكان الذي لا عودة منه. عندما أخبرتني "هيرا" بأنك ذاهبة إلى شلالات "توالا" راقبت اتجاه الريح والسحب وقفزت في سيارتي دون أن أضيع دقيقة واحدة لقد كنت أعلم أن الجدول سيصبح غير قابل للعبور في أول رخة من الأمطار.

– هل تريد أن تقول: إنك عبرته قبل أن يصبح فيضانا؟

– يا عزيزتي من أجلك أنا على استعداد لصعود أعلى قمم الجبال وعبور المحيط و...

– لا بأس بصعود قمم جبال "مولوكي" فهي ليست عالية ولكن عبور هذا المحيط. فهذا أمر آخر.

– في الحقيقة إن الأمطار هطلت بعد عبوري وقد ترددت في ربط الحبل مقدما ثم خشيت أن يستخدمه سائح غير ماهر ويسقط في الماء. أنت تعرفين كيف يكون الناس أحيانا.

انفجرت في الضحك وقالت:

– هذا هو إذن السبب في أنك لم تخش أن يزعجنا أحد فوق تلك الصخور المغرية. فبعد المطر لا يستطيع أحد أن ينضم إلينا.. أرجوك أن تنتبه يا "ڤانسي"!

هبط وسط الأمواج وقد لف الحبل حول وسطه وأخذت الدوامات تجعله يتعثر ويتطوح وقد وصلت المياه حتى كتفيه ثم غطس وذراعه

للأمام وبدأ يسبح بقوة. لم تستأنف "كارين" أنفاسها إلا عندما رأته يصعد سالما الضفة الثانية من الجدول. وما إن ربط طرف الحبل بجذع شجرة ضخم حتى أمسكت به بكلتا يديها واستعدت لأن تلقي بنفسها في الماء، صاح:

– انتظري فساعود لأحضرك.

– لا جدوى من أن تعبر ثلاث مرات.. ساصل بمفردي.

لم تنته من عبارتها حتى كان وسط المياه العارمة وقد أمسك بالحبل بإحدى يديه وسبح بالأخرى كان الماء مثلجا وقد مد "ڤانسي" ذراعه دون أن يترك الحبل ثم وصل إلى الشابة دون أن يعرضها للأمواج والزبد. وبعد ذلك دفعها إلى الأمام وهي تسحب نفسها بالحبل بكلتا يديها. بذلت مجهودا كبيرا حتى لا تنزلق فوق طين الضفة الأخرى عندما وصلت إليها وصعدتها بصعوبة بالغة وبطء شديد. قالت له – بعد عدة دقائق من الراحة –:

– شكرا. بدونك لم أكن لأصل.. وها نحن مبتلان ثانية.. هذه ثالث مرة في هذا النهار.

قال لها مذكرا:

– لقد التقينا أول مرة تحت المطر.. إن الماء هو عنصر تعارفنا.

استأنفا السير. وكان الطين يلتصق بنعل حذاءيهما وعلى أرجل البنطلونين، وأصبحت كل خطوة أكثر ثقلا وبطئا وهما يسيران على طريق الغابة تعثرت قدم "كارين" وأمسك بها "ڤانسي" بيد ثابتة وقال –وهو يضحك–:

– لقد تعارفنا وسط الطين وانتهى الأمر نهاية سيئة ولكني اليوم أريد أن ينتهي اليوم نهاية سعيدة.

– ولم لا؟ هي حسن النية عند كلينا.

وقف "ڤانسي" وأشار بيده إلى الوادي الكبير الذي امتد أمام

www.elromancia.com

عيونهما وقال:

– لقد كان هناك العديد من المزارع حيث كانت الذرة تزرع بشكل خاص.. وقد تحطم كل شيء بواسطة الجرذان الضخمة المتوحشة التي كانت تظهر هنا من حين لآخر، وقد أفلح نظام الإنذار المبكر حيث كان الفلاحون يلجأون إلى هذا التل فلم تقع ضحايا لتلك الحيوانات المفترسة، ولكنهم كانوا يرون كل ممتلكاتهم تختفي في لحظات، ومن وقتها لم يتم بناء أي منزل سوى بعض المنازل القليلة التي رأيتها في الطريق فقد كان الخطر داهما.

عند وصولهما إلى نهاية الوادي كانت الشمس قد غربت وراء شراذم السحب فوق المحيط. قالت "كارين":

– إنني لن أستطيع قيادة السيارة وفي قدمي كل هذا الطين.

كان جدول ماء يعبر البراري ويفصلهما عن الطريق.

– اجلسي أنت يا سيدتي ودعيني أفعل ذلك.

جثا على ركبتيه وخلع نعليها ثم مسح بكفه طرف البنطلون الجينز وخلص الركبة من الطين المتجمد وكذلك الكاحلين. وتركته وهي مغمضة العينين يدلك ساقيها حتى تلين عضلاتهما، ثم نظف نعلي الحذاء بسرعة بواسطة العشب وقال:

– لا يمكننا الآن أن نفعل أفضل من ذلك.

وصلا حافيي القدمين إلى سيارتيهما وقال:

– من المؤسف أننا مضطران لأن نقطع الطريق منفصلين.

قالت له في مكر:

– يمكننا أن نربط الإكسدام الأمامي لسيارتي بالخلفي لسيارتك.

– إن الطريق محفوف بالمخاطر الشديدة ولا نستطيع أن نقوم بحركات بهلوانية. ماذا تفضلين. أن نلتقي في بيتك أم في بيتي؟

– في كلتا الحالتين أنت في أملاكك.. فالكوخ ملكك.

– إن الشخص الموجود بداخله هو الذي أريد أن يكون ملكي.. حسنا هذه تورية في الكلام؛ لأنني أعرف تماما أنك لن تكوني أبدا ملكا لمكان أو لرجل.

لم تحاول أن تصحح كلامه أو تعترض عليه. أن تصبح منتمية إلى "ڤانسي" ليس بالأمر غير السار، والمهم أن يرغب "ڤانسي" في أن تصبح هي منتمية إليه.

قال:

– لقد أعطيت "هيرا" يومين إجازة. ورحلت لمقابلة أصدقائها في المدينة.. وستصبح بمفردها.

– أنت واثق تماما بنفسك.

– واثق... لا.. وإنما لدي أمل.. لن نصل قبل الليل وعليك أن تقودي السيارة بحرص شديد، واعلمي أن كل دقيقة تأخير عن وصولك ستكون الجحيم بعينه هيا.. بسرعة.. بسرعة.

الفصل التاسع

أخذت "كارين" دشا طويلا ساخنا وغسلت شعرها ومشطته بقوة، ثم اعتنت بزينتها ،وترددت ما بين الثوبين الطويلين ، ثم مالت لاختيار الثوب الأزرق الذي أحضرته من "هونولولو" ، فقد سبق لـ"فانسي" أن رأى الثوب الآخر.

ذكرتها النتيجة المعلقة على الجدار فجأة أن اليوم عيد ميلاد عمتها، ولابد أن الهدية وصلت إليها ولكن كلمة صغيرة عبر التليفون ستسعد المرأة العجوز ، فقد سبق لـ"كارين" أن وعدت نفسها بالاتصال بها.

بعد أن تعطرت راجعت منظرها لآخر مرة في المرآة ، رأت مسحة من السعادة على وجهها وكأنها عروس في ليلة زفافها. يالها من فكرة شاطحة! من تحدث عن الزواج؟ لا أحد.. لقد اختارت العزوبة من زمن بعيد والانهماك والذوبان في الحياة المهنية التي تتخللها بعض الصداقات.

أما "فانسي" فكان واضحا ومفهوما تماما. إنه لا يبحث إلا عن علاقة مقبولة تستمر ما شاء لها الاستمرار ولكن بدون أي ارتباط دائم ولا قيود . حسنا... إنها موافقة على أن الحق معه ومن الخطأ أن تعتبره مسلكا غير مألوف مادامت ترفض هي أن تعيش حياة ربة البيت.

أمسكت بها الريح عندما فتحت الباب ودفعتها بقوة نحو البيت الكبير. كانت عناصر الطبيعة وكأنها تريد للحكاية أن تنتهي نهاية سعيدة .كان "فانسي" يذرع الممر أمام مدخل البيت وكان قد غير ملابسه ببنطلون أسود وبقميص من الحرير الأبيض من النوع الذي

كان يفضله. لمح "كارين" وجرى نحوها وهو يصيح:

- لقد كنت أخشى...

- تخشى ماذا؟

- أن تغيري رأيك.. لقد كان الطريق طويلا ولا بد أنك أعدت التفكير وقررت البقاء في بيتك وأن تعودي امرأة رزينة وعاقلة.

قالت معترفة:

- لا.. إن هذا لم يعد باستطاعتي.

قال -وهو يفتح الباب-:

- تعالي بنا نذهب إلى الصالون.

تقدمها ليضيء الأنوار ثم سمعته يقول في دهشة:

- كم كنت أود أن ترتدي ثوبا غير هذا.

- ألم يعجبك؟

- إنه جميل جدا عليك ويناسبك ولكن حكايته هي التي لا أحبها.

توغل "فانسي" بجسده القوي في الردهة وكان يسير بخطوات واسعة وسريعة مما اضطرها لأن تجري لتلحق به وسألته:

- ولكن عن أي شيء تتكلم؟

استدار فجأة وبعنف:

- إنه ثوب "هونولولو" الذي ارتديته وأنت مع "مايك" ، وكنت أيضا ترتدينه عندما أنزلك في اليوم الثاني في "مولوكي" والذي قبلك...

صاحت -وهي في شدة الغضب-:

- كف! أنت لا تعرف ما تقوله.. أولا ليس لدي سوى ثوبين للسهرة وقد رأيت الآخر من قبل ولكني لست مدينة لك بأي تفسير يا سيد "وارنر". هل استدعيتني هنا حتى تحاكمني؟ في هذه الحالة

www.elromancia.com

يجب أن تعلم أن الثوب الطويل ليس هو السبب ، واعلم فقط أنه ليس بيني وبين "مايك" سوى علاقات الصداقة المتينة فقط ، وتقبيله خدي ليس سوى دليل عليتلك الصداقة.

انتهت من محاضرتها في نفس واحد وصوت يصم الآذان ثم استدارت واتجهت نحو باب الخروج ولكن قبضة قوية منعتها ، ووجدت نفسها سجينة الرجل الذي أرادت الهروب منه. همس في أذنها:

– لا أعرف يا "كارين" لماذا تحدثت معك هكذا.. إنه غباء شديد مني ولكن فكرة أن يقترب رجل آخر منك تصيبني بالجنون.. إنني أتعذب....

أرخت رأسها على كتفه واعترفت:

– وأنا كذلك يا "فانسي".. إنني لا أتحمل فكرة..أنك تستطيع أن تقابل نساء أخريات.

لم تذكر "تامي" وكل النساء اللاتي سبقتها.

قالت بلهجة مترددة:

– والآن لدي اعتراف أود أن أقوله لك..

هل كان متزوجا؟ وهل هناك العديد من الأطفال مختفون تحت الأرض على استعداد للظهور فجأة بعد أن أخفاهم هو؟ هل "تامي" حامل.. ماذا أيضا.. ولكنه قال:

– في اليوم الذي تناولنا فيه الغداء في "أوبرج منتصف الليل" في "كونا كاكي" أنا الذي جعلتهم يتصلون بـ"مايك" واضطررته للعودة إلى "هونولولو" من أجل رحلة طيران عاجلة. لقد كلفني ذلك ثروة صغيرة ولكني لم أندم على شيء.

انفجرت ضاحكة.. كل هذه المؤامرات وكل تلك النقود من أجل قضاء ساعتين في صحبتها! إن تلك الحكاية ملأتها بالسعادة حتى

الثمالة.

– لقد عرفت عن طريق "مايك" أن الزبائن المزعومين قد أرسلوا شيكا بالاتعاب ولكني لم أتصور أنك صاحب تلك الخدعة. اسمع إذن.. بالنسبة لـ"مايك" فإنه يخرج الآن ويواعد "تامي". أو هذا على الأقل ما قاله "مايك".

بدا وكأن الخبر لم يؤثر فيه وكان كل اهتمامه موجها نحوها ونحو التمتع برؤيتها لا شك أنه زير نساء.. ومثله لا يهمه سوى المرأة التي بين يديه فقط دون تفكير فيمن سبقتها.

من الأفضل لها أن ترحل وتعود إلى كوخها وأن تعاني الأرق. كان هذا ما ينصحها به عقلها ولكن كل ذرة في جسدها كانت ترفض ذلك.

فجأة تذكرت عمتها وقالت:

– لابد أن أتحدث مع عمتي تليفونيا، وأرجو ألا يكون الوقت قد فات.. أرجو المعذرة.

– أسرعي!

تجاهلت وجود تليفون في الصالون فسارعت بالذهاب إلى المطبخ، بدت السيدة العجوز سعيدة لأن "كارين" فكرت في الاتصال بها. لقد تسلمت بالفعل الهدية وشكرت ابنة أخيها، تساءلت "كارين" إن كان عليها أن تتحدث عن "فانسي" عندما صاحت العمة:

– إن صوتك يبدو سعيدا يا عزيزتي... إنه لمن دواعي سروري أن أسمعك.. هل أنت سعيدة؟

اعترفت الشابة مكتفية بأن تقول:

– إن موقع العمل يتقدم بسرعة ونجاح.

– هل هذا كل شيء؟ لقد كنت آمل أن تعلني لي أمرا آخر.. لقاء مهم مثلا.

www.elromancia.com

كانت العمة تتمتع بحاسة استشعار شديدة الحساسية ، وكثيرا ما لاحظت "كارين" ذلك عنها.

– نعم.. لقد تعرفت إلى شخص مثير.

– آه؟

ساد الصمت بعد ذلك وقالت العجوز أخيرا:

– ومتى سيكون الزواج؟

– إننا لم نصل إلى ذلك. ولو حدث أن اتخذت هذا القرار فانت أول من ستعلم.. وهذا وعد مني.

– حسنا.. أسرعي يا عزيزتي.. لقد ضاعت سنة من عمري اليوم ولست أدري كم سنة بقيت لي .

أكدت لها "كارين" أن أمام عمتها عشرات السنوات على قيد الحياة، وتمنت لها عيد ميلاد سعيدا ووعدتها بزيارة فور عودتها إلى القارة الأمريكية ثم وضعت السماعة. كان "ڤانسي" يضيء المصباح الموجود أعلى المائدة الكبيرة في حجرة الطعام ،ووجدت طبقين وأدوات مائدة لشخصين موضوعين بجوار بعضها مكونة من الصيني والفضية والكريستال والورود . تساءلت متى وجد الوقت لعمل كل ذلك؟

قال لها –وهو يمد لها ذراعيه–:

– هل انتهيت من الأعمال؟

– لم تكن أعمالا..

صب لها كأسا وناوله لها قائلا:

– إنه عصير عنب "بورچونيا".. لنشربه في صحتنا يا عزيزتي!

أضاء شمعتين في شمعدانين فوق المائدة وأطفأ المصباح ثم قال:

– إنني أردت أن نتناول العشاء في هدوء وسعادة ولا أستطيع أن أضيع أي دقيقة.. إنني أريد أن أجعلك سعيدة وألا تنسي للأبد

تلك اللحظات أينما كنت ومهما فعلت.

لم يهمل في تلك الليلة أن يحدد أنه ستكون هناك ليال أخرى مشابهة ،وتجاهل أن يذكر أن العمل في الموقع أوشك أن ينتهي.. لم تكن هي أيضا في حالة تسمح لها بالغضب أو الشعور بالندم.. إنها تريد ذلك الرجل.. وفورا جلسا يتناولان الطعام في صمت وحب وكل منهما ينظر للآخر في هيام . قال لها:

– هل تشعرين بالندم؟

– كيف؟

– إنني لا أريد أبدا أن تندمي لحظة.

– لا تقلق.. إنني لن أخسر شيئا.

– شكرا لك.

قضيا ليلة سعيدة لن تنسى. واستغرقا في نوم خال من الأحلام.. وعندما فتحت "كارين" عينيها وجدت الستائر مواربة مما سمح لها برؤية السماء مرصعة بالنجوم. ثم سمعت صوت الرياح من خلال المدخنة تصدر صفيراً طويلا. سألها "ڤانسي":

– ألا تشعرين بالجوع؟

– أنا شبعانة.. وأنت؟

قال –وهو ينهض–:

– إنني أكاد أموت جوعا.. وأريد أن أسترد قوتي.

نهضت واقتربت من باب الشرفة الزجاجي الذي كانت الرياح تهزه بشدة تشبه العدوانية. كانت العاصفة تهز النخيل ، والسحب تغزو السماء وتخفي النجوم واحدة بعد الأخرى. قال معلقا:

– هذه ليلة لا تسمح بتناول العشاء في الخارج.

هبطا إلى قاعة الطعام وكانت الشمعتان قد استهلكتا فغيرهما "ڤانسي". ثم سألها:

www.elromancia.com

– والآن هل بإمكانك إعداد وجبة لرجل جوعان؟

– لقد ظننت أنني المدعوة... ولكن مادمت تصر فأنا بطلة العلب المحفوظة والأكياس المجمدة!

– حسنا.. إذن أنا الذي سيطهو!

كان الطهي مكونا من عملية إخراج الأطباق سابقة الإعداد من الثلاجة الكهربائية والتي أعدتها "هيرا" ووضعتها في موقد الميكروويف مع احترام الأوقات التي حددتها "هيرا" كتابة على كل طبق.

تناولا العشاء جنبا إلى جنب دون أن يتبادلا الحديث. وبين كل شوكة طعام وأخرى كانت نظرات "ڤانسي" تعود وتستقر على "كارين" وكأنما جوعه لا ينتهي. قال لها:

– إنني لا أشعر بأي رغبة في تناول الحلوى.

– لماذا؟

– لأنني شبعت من النظر إليك يا أحلى امرأة.

– حسنا.. لابد أن أعود. إنه يوم الاثنين ولابد أن أعمل.

– من فضلك ابقي! لقد عملت العديد من أيام السبت كنت تعملين فيها، يمكنك أن تأخذي إجازة لمدة يوم، ويمكن لـ"كانو" أن يحل محلك، و"هيرا" لن تعود إلا في المساء.

كان العرض مغريا. ترددت "كارين" ولكنها سرعان ما استسلمت وقالت في ضعف:

– موافقة.. ولكني سأذهب لآخذ دشا.

رن جرس التليفون. قال "ڤانسي" في غيظ:

– لا أهمية له.

ولكن التليفون أصر على الرنين فقالت له "كارين":

– وماذا لو كان الأمر خطيرا؟

– الحق معك.. سأعود بعد ثوان.

ارتدى الروب "دي شامبر" وهبط إلى الدور الأرضي، وتمددت "كارين" في سعادة فوق الأريكة.. إن الحياة لذيذة وستعيشها بضعة أشهر أخرى. ثم ماذا بعد ذلك؟ لا يهم.

كان غياب "ڤانسي" قصيرا. وسمعت صوت خطوات عصبية تهز الدرج. دخل وكانت عيناه غائمتين وملامحه قاسية مما أصاب قلب الشابة بالبرد القارس. ثم قال بلهجة حادة وقاطعة:

– يمكنك أن ترتدي ملابس الخروج.. لقد أفسدت خطتك.

– ماذا؟

– ارتدي ملابسك. إن صديقك ينتظرك في المطبخ وهو يلتهم بقية طعامنا.

قالت –وهي تنهض بعنف–:

– ولكن عن أي شيء تتحدث؟

– إنني أتحدث عن "مايك" والرسالة العاجلة التي أحضرها إلي.

– أنا لا أفهم كلمة واحدة مما تقوله يا "ڤانسي".

أصبح وجهه شاحبا كالشمع من الغضب وهو يصيح:

– لا تتظاهري بالبراءة! ليس بمغازلتي تستطيعين بناء ملعب الجولف! يمكن لـ"جوردان ناش" أن يضاعف عرضه ويضايقني برسول عاجل جدا، وأن يخرجني من لحظات سعادتي التي حلمت بها بعد أن استخدمت كل فنونك في الإغراء..

بدأت تفهم.. هذا سوء فهم آخر اندفع فيه "ڤانسي" دون تفكير. قالت له:

– لقد مرت شهور طويلة و"جوردان" يفاوضك على ملعب الجولف ولا دخل له بما يجري بيننا.

– أنت لست صادقة! تلك المكالمة التي أجريتها مساء أمس كانت لاشك لتخبري رئيسك بأن اللحظة حانت لأن يضرب ضربته.. لقد

www.elromancia.com

فهمت كل شيء ألا ترين ذلك؟

أحست بالدموع تظهر في عينيها ولم تحاول منعها .جمعت حوائجها وبدأت ترتدي ملابسها. أخذ "ڤانسي" يذرع الحجرة مثل الفهد الهائج وصاح:

– هذا ما تفعلينه الآن.. أن تبكي. إنها اللمسات الأخيرة في التمثيلية. ولكن لا فإن ذلك لم يعد ينجح الآن.

أحست بنفاد الصبر والضيق الذي لا يطاق فوقفت أمامه في تحد وصاحت:

– الآن جاء دوري لأتكلم. إنني لن أضع قدمي أبدا في هذا البيت ولا أريد أن أراك بعد الآن في موقع العمل. أما بالنسبة لحكاية ملعب الجولف فأنت مخطئ كل الخطأ. لقد كنت أجهل أن "جوردان" سيقدم عرضا جديدا وبالنسبة للمكالمة التليفونية مساء أمس فقد كانت لتمني عيد ميلاد سعيد لعمتي.

– هاها ها! حسنا وأنا أقول لك إنه لو اضطررت في يوم ما أن أبيع قطعة أخرى من الأرض فإن ذلك لن يكون بأي حال من الأحوال لشركتك وهذا هو الرد الذي ساعطيه لـ"مايك".

خرج بعد أن صفق الباب وراءه. انتهت "كارين" من ارتداء ملابسها وكل أعضائها ترتجف وهبطت السلم وغادرت البيت وهي تتجنب المرور بالمطبخ الذي سمعت فيه الرجلين يتجادلان.

ما إن أغلقت "كارين" باب الكوخ البنجالو عليها حتى تخلصت من ملابسها ودخلت بسرعة تحت الدش. كان النشيج يهزها بقوة في موجات لا تقاوم ، لقد طردته بعنف من قلبها وخنقته في خيالها ولعنته مدى الحياة ،وأقسمت أنه العمل ولا شيء سوى العمل فقط هو الذي يهمها.

الفصل العاشر

فتحت "كارين" الباب.. كان "ڤانسي" واقفا على عتبته وقد رفع قبضته. تراجعت بالغريزة قال –وقد بدا عليه الحزن–:

– إنني ساذهب لأنتحر.

– ماذا تريد.. هل جئت لتنفيذ حكمك علي؟

– لقد أتيت لأعتذر. أنا آسف يا "كارين".

كانت الكلمات تخرج من فمه في سهولة ولكنها شكت وهي صادرة منه أن يكون لها معنى. مد يده متضرعا واستأنف الحديث قائلا:

– يمكن القول: إن الحب يعتمد أساسا على الاعتذار بلا انقطاع أو هذا على الأقل إحساسي.

الحب؟ إنها كلمة أخرى جديدة ولكنها ليست صادقة مثل كلمات الاعتذار. رفضت "كارين" يده وأخذت تقهقه:

– يالالذل! أحب فقط أن أعرف سببه!

– يمكنك أن تسخري مني وتتهكمي علي لأنني أستحق ذلك. اصفعيني لو أردت.. أنا لن..

قاطعته:

– لا جدوى من الإطالة. أمامك دقيقة واحدة لتشرح لي ما سبب هذا الكلام غير المفهوم.

– موافق! موافق! لقد قلت: إنني آسف وأنا فعلا كذلك. إن رسالة "جوردان ناش" كان من المفروض أن تصل بعد ظهر أمس ولكن الحالة الجوية لم تسمح لـ"مايك" بالهبوط قبل فجر اليوم.

– وماذا في ذلك؟

www.elromancia.com

– حسنا. إنك لم تكوني لتستطيعي أن تخمني أننا سنكون معا في اللحظة المناسبة.. أنت لم تستنبطي شيئا.

– وماذا بعد؟

فتح ذراعيه في حركة ثقة في حقه:

– حسنا.. سامحيني!

ردت عليه –وهي تتراجع للخلف–:

– لا.. اذهب الآن.

– افهم يا "كارين" أنك مضطربة. وأن كل شيء كان غلطتي. ولكن لا يمكن أن نفترق هكذا بعد تلك اللحظات الخرافية التي عشناها الليلة الماضية:

– إن تلك اللحظات الخرافية كما تقول لم تمنعك من أن تتهمني.. بأنني غازلتك كالمستهترات من أجل قطعة أرض تماما ،كما تهيأ لك أنني غازلت رئيسي من أجل تعييني رئيسا للموقع ، ومثلما شككت في أنني عشيقة "مايك".. في مقابل ماذا في رأيك؟

همس –وقد نكس رأسه–:

– آسف.. آسف.

ثم تمالك نفسه وخطا للأمام وأمسك بكتفيها:

– أنا أحبك.. افهمي ذلك يا "كارين"!

كانت قد انتظرت تلك الكلمات طويلا ولكنها وصلت بعد فوات الأوان، تخلصت "كارين" منه بحركة مفاجئة وصاحت:

– تحب! إنك حتى لا تعرف معنى ذلك... عندما يحب المرء لا يتخيل دائما الأسوأ ،وفي كل لحظة لابد أن يثق بمن يحبه ويستمع إليه ، وإذا حدث وشك الحبيب بالمصادفة في المحبوب عليه ألا يحكم عليه وإنما يمد له يد المعونة ويستمع إليه ، وإذا لم يكن الحب هكذا فأنا لا أريده.

– إنني أكرر يا "كارين".. لقد تصرفت برعونة وبلاهة. ولكني أحبك بإخلاص من كل قلبي

– هذه مشكلتك.

تصلب جسدها ومرت من أمامه وابتعدت ناحية موقع العمل. وابتداء من تلك اللحظة نزعت من نفسها أي عاطفة. إنها لم تعد تشم رائحة الزهور الاستوائية ولا رائحة البحر ولا الأمطار ولم يعد النسيم ولا أشعة الشمس يداعبانها، لقد ارتدت درعا واقيا عزلها عن العالم. لم يعد هناك سوى العمل والعمل ولا شيء غير العمل. إنها ستكرس له كل لحظة ودقيقة وثانية.

كانت الساعة السادسة مساء عندما هبت عاصفة مفاجئة وعنيفة وغير معتادة. وكان "كانو" يصاحبها في جولة في موقع العمل فاقترح عليها أن يبحثا عن ملجأ. نظرا حولهما وقد أصبح لون الرمال رماديا والبحر أبيض من الزبد وكانت أشجار النخيل وجوز الهند العارية من الأوراق تئن تحت هياج الرياح العنيفة.

فجأة صارت العاصفة إعصارا وأخذت ألواح الخشب تتطاير في الهواء وتحطم لوح خشب تحت أقدامهما. صاح "كانو":

– إن مبنى المكاتب لن يتحمل.. هيا بنا إلى هناك.

أشار إلى مكان إقامة العمال حيث جريا ليحتميا مع عشرات الأشخاص. ردت عليه:

– إنه بعيد جدا.

كانت المباني رقم (٢ و٣) غير تامة وفقط المبنى رقم (١) هو الذي يصبح ملجأ شبه فعال. بدأ الجري ورغم ضخامة جسد "كانو" فإنه لم يفقد سرعة جريه كبطل رياضي وتقدم "كارين" وقد خفض رأسه. صاحت –وهي تراه يبطئ–:

– لا تنتظرني!

www.elromancia.com

طارت كتلة معدنية من المبنى رقم (٢) في اللحظة التي دارا حوله، صاحت:

– انتبه!

انبطحت "كارين" على الأرض وكان هدير الرياح يغطي على فرقعة السقف . نهضا معا وكما كانا يخشيان فإن جدران المبنى بدأت تتصدع وتنهار واحدا بعد الآخر وكأنه قصر من ورق اللعب. صاح "كانو" وهو يجر الشابة بقوة:

– بسرعة! بسرعة!

بدأ يجريان وقذائف مختلفة تئز فوق رأسيهما.

– اجري.. ولا تنظري!

كان المبنى رقم (١) جيدا واندسا داخل حجرة. قالت "كارين":

– لننقذ ما يمكن إنقاذه. لنفتح النوافذ حتى يصبح الضغط الجوي متوازيا في الداخل والخارج.

بعد ذلك لجآ إلى الحجرة المفتوحة التي كانت ستصبح حماما ثم جلسا على البلاط بعد غلق الباب. علق "كانو" –وهو يحاول تدفئة يديه:

– أنا لم أشاهد مثل هذا الجو من قبل أبدا.

قالت "كارين" في ثورة:

– إن هذا الجو مجنون. إنني أتساءل تماما لماذا أتينا إلى هنا؟.. اللعنة على كل شيء.

إن كل ما قدمته لها إقامتها على الجزيرة هو موقع عمل مخرب وقلب محطم.. إقامة لابد أن تطيلها حتى تصلح ما أفسدته العاصفة... ضمت قبضتيها في ثورة عارمة. قال "كانو":

– هيا.. إن كل شيء ليس بهذه الطريقة.. وسأريك في يوم من الأيام كيف تهزمين الرياح.

– أهزم الرياح؟

– نعم... تتغلبين عليها بمساعدة لوح خشب بسيط ومشراع. يوم الأحد القادم لو شئت... أوه كم أنا غبي! أنت تفضلين دون شك قضاء الآحاد مع السيد "وارنر".

هزت رأسها بقوة علامة النفي:

– لا.. من الآن فصاعدا لن يكون هناك أحد مع السيد "وارنر". لا أحد ولا سبت ولا أي مساء.. انتهى بالإنجليزية والفرنسية والألمانية!

قال معلقا بعد فترة صمت:

– شيء غريب! إن كلمة انتهى في لغة "هاواي" تعني انكسر.

كانت تعلم من أول أمسية أنه يجب عليها الا تغرم بـ"ڤانسي وارنر". ردت عليه:

– وأنت.. ألا تحب أن تقضي أيام الآحاد مع "هيرا"؟

قال بصوت تشوبه المرارة:

– هيرا" بالنسبة لي.. "كابو" أي انتهت بلغة "هاواي"!

أخذت تتفرس فيه بإمعان. لقد تأثرت من حزن ذلك العملاق وارتباكه قالت له مقترحة:

– يمكنك أن تحدثني عن الأمر لو أردت.

– بكل سرور... إن ذلك سيشعرني بالتحسن. إن "هيرا" امرأة رائعة. أنت لا تستطيعين أن تتخيلي ما اضطرت لمواجهته وتحمله وقبوله منذ وصولها إلى هذه الجزيرة من عشرات السنوات تقريبا..

– عشرات السنوات؟

– نعم.. إنها تقريبا في مثل سني. وإن ظلت محتفظة بكل جمالها. لقد هبطت على الجزيرة لتتزوج الزوج الذي اختاره لها والدها وهو رجل عجوز جدا مات بعد سنتين من الزواج تاركا أرملة لاتزال عذراء. وفي تلك اللحظة تعرفت إليها ولم نكن قد تجاوزنا

www.elromancia.com

العشرين من عمرنا ،وكنا نعمل في مزارع الأناناس. وكانت الشابات اللاتي من أصل ياباني مثلها مطلوبات جدا من المهاجرين متوسطي الأعمار. وطوال أعوام كانوا يرسلون إلى أوطانهم كل ما يحصلون عليه ، وما إن يتحرروا من ديونهم والتزاماتهم نحو أوطانهم كانوا يستطيعون أخيرا الزواج. وكان هذا النظام الظالم يؤدي إلى خلق شباب يعاني العزوبة وشابات صغيرات جدا يقبلن الزواج من رجال عجائز جدا. وهذا النظام لايزال مستمرا حتى الآن مع الفلبينيين والفلبينيات.

كانت "كارين" كثيرا ما تتساءل لماذا تعيش الموظفتان اللتان من أصل فلبيني مع رجال يمكن أن يكونوا آباء لهما.

استطرد "كانو":

– كانت "هيرا" شديدة الجمال وقد أصيبت بالحرج في اختيار زوجها الثاني. كنت أظن أنها تحبني ولكني كنت أصغر من أن أصلح للزواج. وتم الزواج بعد شهر من ضرب ميناء "بيرل هاربور" ولا شك أن اشتعال الحرب قد سارع بأن اتخذت "هيرا" قرارها. لقد أحست بالحاجة إلى أن تكون محمية في حين أنهم هنا لم يعاملوا المهاجرين من أصل ياباني بالمعاملة الجيدة التي كانوا يلقونها على القارة الأمريكية.. أو على الأقل لم يكونوا يحبسونهم في مخيمات ومعتقلات ،وقد تم تجنيد زوجها جاسوسا عند النازي الألماني في الفرقة المخصصة الأمريكية اليابانية ، وأصبح فيها ضابطا برتبة ملازم ، ثم نال وساما ، ثم مات في "ألمانيا" في الشهور الأخيرة من نهاية الحرب .ويمكن القول: إن حياتهما المشتركة كانت مقتضبة.

– ياله من أمر محزن!

– لم تعد "هيرا" بعد أن نالت معاشها عن زوجها مضطرة أن تتزوج ثانية لتعيش ولكن الضغط العائلي كان شديدا. ثم عدت أنا

من الحرب وبادلتها حبا ملتهبا رومانسيا كما كنا من قبل ، وكانت عائلة المرأة الحسناء معارضة تماما لزواجنا وقالوا: إن "هاواي" هي نقطة إذابة تذوب فيها كل الأجناس وتختلط كل الحضارات والأديان وهذا ليس صحيحا في كل الأماكن. ففي "مولوكي" هذا الرأي غير صحيح. ولم تجرؤ "هيرا" على معارضة العائلة وتزوجت ذلك الذي اختاروه لها للمرة الثالثة وهو ابن عم زوجها الثاني. وهو رجل ممتاز وتكاد تكون سنه من سنها وكان يحبها بإخلاص وأعتقد أنها بادلته حبا بحب وكانا سعيدين. وأنجبا ثلاثة أولاد ربما تعرفين ذلك.

– لا.. لم أكن أعرف أن لديها أطفالا.

– لقد غادرت الجزيرة وذهبت للعمل في "هونولولو" ولم أر "هيرا" إلا في استعراض "ملقين ليد". هل تتذكرين؟

– ولكن ها هي الآن أرملة وحرة.. أليس كذلك؟

– نعم للمرة الثالثة هي أرملة وحرة.. ولكن العائلة موجودة بالمرصاد دائما ،و"هيرا" تؤكد أنها عجوز جدا ومتعبة للغاية لا تستطيع أن تقاتل ضد ضغط الإخوة غير الأشقاء أبناء العم والخالات وغيرهم، إنها لم تجرؤ على ذلك وهي شابة ولن تستطيع ذلك اليوم وهي خائفة على أولادها. باختصار تراجعت عن مشروع زواجنا.

مدت "كارين" يدها ووضعتها على كف العملاق الضخمة.

– ومع ذلك أنت تستحق أن تصارع من أجلك ، إنها ستنتهي إلى فهم ذلك.. هذا ما أؤمن به.

الفصل الحادي عشر

كانت خسائر العاصفة كبيرة. وانهمكت "كارين" في العمل بطريقة مجنونة. وعلى الأقل أثناء إشرافها على تنظيف الأرض وطلب الطلبيات اللازمة لإحلال المواد المخربة من "هونولولو". كانت أفكارها لا تشرد في غباء في أحلام يقظة غبية أو تأنيب الضمير.

كان يلزمها في البداية تخليص موقع العمل من كل الحطام الذي يغطيه من أخشاب وقرميد وأعمال معدنية وزجاج. ثم استخدام ما قد يصلح منه وإعادة إقامة مبنى المكاتب الذي لم تقطع الحرارة عن تليفونه. الأمر الذي جنبها اللجوء إلى تليفون "ڤانسي"، ثم مراجعة الخرائط لتصحيح بعض أماكن الضعف، ثم الحصول على موافقة "جوردان ناش" على التعديلات، وتشجيع العمال وإقناعهم بالعمل ساعات إضافية.

وكانت ساعات عمل "كارين" تستمر ست عشرة أو سبع عشرة ساعة يوميا. وعند عودتها إلى بيتها كانت تتهيأ لها رؤية خيال يتحرك في الشرفة بالبيت الكبير وربما كان ذلك من وحي خيالها.

على أية حال كان "ڤانسي" رجلا معتزا بنفسه جدا بحيث لا يرضى بأن يعود إليها ويتوسل إليها، لقد فعلها مرة وذلك في حد ذاته أمر غير عادي ولكنه رفض ولن يكررها، وعليها هي أن تقوم بالمبادرة، وهذا أيضا أمر غير قابل للنقاش.

ويوم الأحد صحبها "كانو" كما سبق أن وعد إلى شاطئ الجانب الغربي وعلمها كيف تتغلب على الريح. وكان قد استعار لوحة التزحلق فوق الماء والشراع من إحدى صديقاته، وشرح لها أن تلك الرياضة تحتاج إلى المهارة أكثر من القوة، الأمر الذي جعلها رياضة مقبولة جدا عند النساء. وبعد عدة ساعات من المحاولات الفاشلة

والحمامات الإجبارية فهمت "كارين" كيف يكون توازن الشراع وتوجيه اللوح. قال "كانو" مؤكدا -وهو يساعدها على جمع الأدوات-:

- في المرة القادمة ستكون التسلية أكبر.

قضت أول ليلة لها بسبب التعب البدني وهي نائمة نوما متقطعا. وصباح الاثنين أيقظها آزيز طائرة وعندما خرجت من الكوخ البنجالو شاهدت "تامي" تستعد لأخذ حمام شمس أمام البيت الكبير.

تساءلت هل هي في حاجة إلى دليل آخر؟ إن "ڤانسي" غير قادر على الحب.. إنه يأخذ المرأة التي تريده ولا تزعجه بالرفض. ومساء الاثنين تجنبها النعاس.. كان السرير كبيرا جدا والجو شديد الحرارة والليل لا يتقدم. نهضت وأخذت تذرع أرض حجرتها جيئة وذهابا، ثم أخذت دشا ثانيا وجلست لتكتب لعمتها ،ثم نحت دفتر المذكرات جانبا وارتدت ملابسها مرة ثانية وأخذت مصباح البطارية وخرجت. ربما جلبت لها نزهة خلوية على الأقدام الهدوء المرغوب.

فجأة رأت أمامها جسما ضخما فقفزت "كارين" للخلف فزعة. قال لها "ڤانسي" مزمجرا:

- ما الذي تفعلينه في هذه الساعة؟

- وأنت؟

تملكتها رعدة غير مفهومة. كان بمفرده.. لقد ترك "تامي" تستريح. قالت له:

- آسفة لأنني تجاوزت خطوط الحدود.

- إن الشواطئ عامة.... ثم أنت تعرفين جيدا أنني لا أستطيع أن أمنعك من الذهاب إلى موقع العمل، لقد قلتها ولكن..

- ولكن ماذا قلت؟ لقد قلت أشياء عديدة.. أيها أصدقها وأيها أرفضها؟

كان كلامها يحرق شفتيها وكان كل جسدها يدفعها لأن تقبله وألا ترفضه. ومع ذلك تدخلت صورة في أفكارها... صورة "تامي" وهي تنتظر حبيبها ليعود إليها، اضطرت لأن تلزم الصمت، انتظر دقيقة ثم ابتعد. لم تشعر "كارين" في حياتها أبدا بمثل ما تشعر به الآن من الوحدة والفراغ وكأن إعصارا خرب نفسها وروحها.

كانت الأمواج التي تموت وتختفي عند الشاطئ على وتيرة حزينة تمثل شكوى الحب الأبدي المرفوض والممنوع.

*****

مرت أيام عديدة دون أن تقابله. كانت "كارين" تعرف أن "تامي" لاتزال موجودة في البيت الكبير. وأصبح العمل أقل شغلا لوقتها وذهبت في بعض الأمسيات إلى "كونا كاكي" لهدف واحد وهو أن تشغل وقتها.

كانت الحوانيت مغلقة والشوارع شبه مهجورة. قبل العشاء وقبل عودتها بدت عليها علامات التعب الجسدي والنفسي، وظهرت دوائر زرقاء قاتمة حول عينيها ،وأصبح شعرها مليدا وأغبر ومقصوف الأطراف. كم من الوقت يلزمها أن تتحمل ذلك؟

وفي أحد الأيام بعد الظهر ذهبت إلى كوخها ورأت الطائرة البرمائية، وفجأة تملكتها رغبة شديدة في أن تحصل على تفسير وأن تقول في النهاية كل ما يثقل نفسها ونسيت كل حرصها وجرت نحو البيت الكبير، هو أيضا كان يبدو منهكا. منعها غضبها من التفكير وصاحت:

– كيف تجرؤ على الادعاء بأنك تحبني؟

قفز في مكانه فزعا ثم لاحت ابتسامة على شفتيه.

– "كارين"! إنني أجرؤ على القول بأنني أحبك لأن هذا صحيح. ولكن لا تقلقي لأنني لن أغامر وأكرر ذلك لك.

– أيها الكاذب.. أنت تعلن الحب وعشيقتك عندك.

– عشيقتي؟ عمن تتحدثين؟ لا يوجد سوى "تامي" عندي.

– وهذا بالضبط ما قلته.

غامت نظرات "ڤانسي".

– "تامي" ليست عشيقتي... لقد حضرت لتزور أمها هذا كل ما هناك.

– غريبة! هل كل الفنادق مشغولة؟ هل تظن أنني سابتلع هذه الكذبة؟

صاح:

– ما هذا الغباء؟ ولماذا تقطع ساعتين في الذهاب ومثلها في العودة من وإلى الفندق و"هيرا" موجودة هنا؟

– "هيرا"؟ هل "تامي" ابنتها؟

– ألم تكوني تعرفين ذلك؟

ارتبكت وتحيرت وهزت رأسها علامة النفي. رقت نظرات "ڤانسي" وقال:

– أعرف ما تحسينه وتعانينه وقد مررت بمثله.. إنه إحساس مؤلم وبائس.. على الأقل لست أنا الذي يقفز إلى استنتاجات خاطئة ومتعجلة! على الأقل هذا شيء مشترك بيننا.

جلست دقيقتين على طرف عارضة خشبية وانتظرت حتى استعادت هدوءها. وكان "ڤانسي" يراقبها في حنان مشوب بالتهكم. قالت –وهي تنهض–:

– هذا لا يكفي، نحن الاثنان أبلهان. هذا كل ما في الأمر.

هددتها الدموع بالسقوط من عينيها فأضافت بسرعة:

www.elromancia.com

– إن موقع العمل يتقدم بسرعة وإقامتي أوشكت أن تنتهي ، وأخشى ألا أستطيع نسيانك يا "ڤانسي".

بعد يومين عادت إلى بيتها في نهاية فترة مابعد الظهر عندما شاهدت "تامي" تنتظرها أمام الكوخ ، وكان أول رد فعل لها هو أن استدارت نصف دورة ،ولم تشاهدها الشابة الآسيوية بعد ثم اتهمت "كارين" نفسها بالجبن فاستمرت في السير نحو الكوخ، إنها في الوضع الذي ليس لديها فيه وقت تضيعه.

كانت الفتاة التي حيتها ترتدي ثوب استحمام شمسي بلون ماهوجني ، وأحست "كارين" بانها قذرة ومهملة في ملابس العمل.

قالت "تامي":

– ألوها! أنت تعملين بشدة وقد حاولت لمدة يومين أن أراك ولما كنت سأرحل صباح الغد فقد خشيت ألا أستطيع مقابلتك.

– غدا؟ هكذا بسرعة؟

– لقد قضيت هنا الأسبوع تقريبا. عادة لا أبقى كل هذا الوقت.

قالت "كارين":

– ادخلي.

تخلصت الشابة من قلنسوتها وقدمت لضيفتها كأسين من الشراب المنعش، انتظرت "تامي" حتى جلست في مواجهتها لتدخل في صلب الموضوع:

– أريد أن أحدثك عن "ڤانسي".

ردت عليها "كارين" بخشونة:

– لا جدوى من ذلك.. إنني أتركه لك.

– ولكني لا أريده! أعتقد أنك ترتكبين خطأ. إن "ڤانسي" لا يفكر إلا فيك أنت ، وهو تعيس جدا ويبدو لي أنك أنت أيضا كذلك. ما الذي جرى؟ لماذا ترفضينه؟ ألا تحبينه؟

مالت "كارين" للأمام وتفرست في وجه "تامي" وعينيها:

– وأنت؟

ردت الآسيوية الفاتنة –وهي تضحك–:

– أنا أحبه منذ الثالثة من عمري. وفي سن الثالثة عشرة حاولت إغواءه وكان هو في العشرين ، وكان يعتبرني كاللصقة ولم يبدأ يلاحظني إلا عندما أصبحت طالبة ،وانتظرت بعد ذلك سنوات طويلة إلى أن استسلم لإغراءاتي ومغازلاتي.

– ألا ترين أنني على حق؟

– انتظري البقية. احتراما لأمي تصرفنا في تعقل شديد هنا. أما في "هونولولو" فكان الأمر مختلفا ،ولكن اعلمي أن تلك الحكاية انتهت من عامين لقد طلب يدي للزواج ولكني رفضت. كان هو من جانبه يريد تسوية الأمر ولكني اكتشفت عاطفة أخرى شغفت بها وهي السفر. كانت "مولوكي" بالنسبة لي صغيرة بالمقارنة بالمدن التي كانت بانتظاري مثل "باريس" و"بانكوك" و"أمستردام" و"هونج كونج" و"سيدني" لقد كنت أعرف "ڤانسي" بما يكفي لأعلم أنه يحبك كما لم يسبق له أن أحب أبدا. وهذا التأكيد يزيل عني الشعور بالذنب الذي لم أكف عن الشعور به منذ أن رفضت الزواج به.

– إنه يحبني جسديا كأي رجل محكوم عليه بالوحدة.

– هذا أيضا خطأ.. إنه يستطيع أن يذهب إلى "هونولولو" في أي وقت ليرضي نفسه. أخبريني ما الذي يزعجك؟ لأنني أرغب في مساعدتك.

– شكرا ولكنك لن تستطيعي ذلك.

– قولي على أية حال.

– إن "ڤانسي" لا يحبني حقا. إنه لا يكف عن الشك في أشياء رهيبة.. إن تصور الأسوأ ليس حبا.

www.elromancia.com

– مثلا؟

حسنا. أولا شك في أنني استسلمت لرئيسي لأحصل على هذه الوظيفة ثم تصور أنني غازلت "مايك" وهو أمر غير صحيح على الإطلاق، وأؤكد لك ذلك. وأخيرا بعد ليلة رائعة معا وضع في ذهنه أن هدفي الوحيد هو الحصول على قطعة أرض من أجل شركتي!

ابتسمت "تامي" ولم تبد عليها علامات الفزع المتوقعة.

– إنه يفعل ذلك ليحمي نفسه. لو أنك فعلا مذنبة فيما يتهمك به لكان رحيلك الوشيك أكثر تحملا وأقل ألما. إنه يحاول الوصول إلى عيوب عندك حتى لا يندم على رحيلك.

– ولكنه لم يطلب مني أبدا أن أبقى.

– بالتأكيد لا.. إنه يخشى رفضك أو الأسوأ أن تقبلي ثم تهجريه بعد عدة أشهر أو سنوات.

– مثل أمه؟

– بالضبط وكما تفعل عشرات النساء في "مولوكي" إنه وباء الجزيرة.. هذا ما يسمونه. إنه عدم القدرة على التأقلم على الحياة المنعزلة والوحيدة والمحدودة بالبحر.. وأنا لم أكن أتمكن من البقاء حتى مع "ڤانسي".

قالت "كارين":

– الوحدة ليست هي ما تخيفني ولكن الذي يخيفني هو شكوكه المستمرة. إن خوفه من أن أرحل هو الذي يسبب له الرعب، والحياة المشتركة تتطلب الحل الوسط وبذل جهود أنا لست قادرة عليها.

– هذا مؤكد ولكن تذكري أنك أنت أيضا شككت فيه في أن يرتكب الخطأ بالنسبة لموضوعي.

– هذا صحيح ولكن سامحيني.. ولكن هذا لم يكن بسبب أن "ڤانسي" وأنا ليس لدينا ذلك الخطأ الشائع والمشترك، وأن هذا يمكن

أن يجعلنا نتحد بل بالعكس على ما يبدو لي نحن أعزبان محكوم علينا بالعزوبة.

هزت "تامي" رأسها في حزن ثم قالت متوسلة:

– أرجوك سأعطي كليكما الوقت الكافي للتفكير ولا تتخذي قرارات متعجلة تندمين عليها طوال حياتك.

– بالنسبة للندم فإنني ساحس به ولكني كلما أسرعت بالرحيل كان تغلبي عليه مستطاعا. وعلى أية حال شكرا لحضورك. لقد أوضحت لي بعض النقاط وإن لم يغير ذلك من الأمر شيئا. لنتحدث عن شيء آخر إلى أين وصلت العلاقات بين أمك و"كانو"؟

– دائما معطلة على ما أظن. أمي لم تقل لي شيئا.

أملت "كارين" ألا تخون ثقة "كانو"، وقصت على الشابة ما قاله "كانو" عن "هيرا".. صاحت "تامي":

– رائع! إن أمي تخشى دون شك لوم إخوتي وأنا على خيانتها لذكرى أبينا لو تزوجت ثانية، وساحدثها في الأمر وأقول لها: إنها مخطئة.. وساتصل بإخوتي الذين يدرسون في القارة الأمريكية.. أنت ربما تعلمين أن "ڤانسي" هو الذي يدفع تكاليف تعليمنا ألا ترين أنه مخلوق ممتاز!

اعترفت "كارين" بأن "ڤانسي" فعلا مخلوق ممتاز.

تركتها "تامي" بعد أن أخبرتها بأنها تعيش بشكل أو آخر حاليا مع "مايك"، ولكن ليس لديهما أي مشروع من أي نوع. ثم جرت نحو البيت الكبير وهي لا تنوي أن تضيع دقيقة قبل أن تحدث أمها.

ظلت "كارين" بمفردها وأخذت تسترجع لفترة طويلة كلامها مع الفتاة وإن ظلت بلا تفكير رشيد في هذا الشأن. إن الأمر لن ينجح بينها وبين "ڤانسي" ومحاولة جديدة لن تجلب إلا العذاب والفشل مرة ثانية.. يجب عليها إذن أن تكف عن التفكير فيه.

www.elromancia.com

الفصل الثاني عشر

الإنسان الآلي لا يفكر ولا يندم ولا يرغب في شيء ولا يعاني. الإنسان الآلي يؤدي عمله إلى أن يضغط الميكانيكي على مفتاح إغلاقه.

تحولت "كارين" قدر المستطاع إلى إنسان آلي وضاعفت من ساعات عملها الإضافية، ورفضت كل راحة إلا في حالة الضرورة. أصلحت خسائر العاصفة وتقدم العمل في الموقع بسرعة. وأعلن الراديو ذات صباح أن هزة أرضية وقعت في "الاسكا" فاصاخت "كارين" أذنيها. كانت قد صحبت أباها إلى "الاسكا" سنوات طويلة من قبل وتعرف المنطقة بعض الشيء، ولحسن الحظ أن الزلزال وقع في منطقة خالية ولكن زلزالا من نوع آخر كان بانتظارها في المكتب ستكون ضحيته. كان "جون أوميشي" قد قدم شكوى ضد الشركة بسبب التحرش الجنسي والطرد غير المسبب. قال "جوردان ناش" لها في التليفون:

– أشك أنه يطمع في تعويض.. إن ما يريده هو مضايقتنا.

قالت في نفسها: إن "كانو" سيشهد في صالحها ولكنها لا تستطيع الاعتماد على بقية العمال. و"ڤانسي" رأى بنفسه من هو المعتدي ومن هو المعتدى عليه، ولكن هل يقبل أن يتكلم؟

بدأت الإجراءات أمام لجنة تحكيم ولكن بدا أن "أوميشي" نوى الذهاب إلى المحكمة. وكان الأمر بالنسبة لـ"جوردان" أن على "كارين" ألا تخشى شيئا شخصيا وقد اتصلت الشركة بأكبر مكتب محاماة في "هونولولو".

– ومع ذلك فإن صورتنا ستتأثر وتهتز... ولذلك أتساءل إن كان بالإمكان الاتفاق ماليا..

قاطعته "كارين" بعنف:

– لا.. سأصارع سواء بمساعدتك أو بدونها، وإذا ما حدث أن تفاوضت مع هذا الحقير فسأرسل لك استقالتي.

– لقد توقعت منك رد الفعل هذا. ليكن! ستفعل كما تريدين وستتلقين المستندات الرسمية هذا المساء.

تناقشا بعض الوقت بعد ذلك ثم وضعا السماعتين، وصل ملف الاتهام بعد ساعة وأمسكته "كارين" باشمئزاز ثم حملته إلى بيتها. قالت في نفسها: ليس لي خيار، إن شهادة "ڤانسي" في صفها أصبحت ضرورية ولا غنى عنها. بدلت ملابسها وبدأت تطرق باب المطبخ. استقبلتها "هيرا" بابتسامة واسعة، وقالت لها:

– إنه في قاعة الطعام.. اذهبي إليه.

دفعت "كارين" الباب على مضض فقفز الشاب واقفا.

– "كارين".

تلعثمت دون تفكير:

– أنا في حاجة إليك.

أحاطها في الحال بذراعيه فاحست بغصة في حلقها وتصلب جسدها؛ لأنها فقدت كل مقاومتها فلاحظ في الحال ترددها.. همس:

– ماذا هناك يا عزيزتي؟

– إنك لن تفهم يا "ڤانسي" لقد أتيت في عمل.

تركها في الحال وتراجع خطوتين وهبط برد مثلج بينهما، أشاحت بعينيها وحاولت أن تقول بلهجة بلا انفعال:

– لقد قدم "جون أوميشي" شكوى ضدي، ويدعي أنني طردته لأنه لم يستسلم لمغازلاتي. وأتعشم أن تقبل الشهادة لصالحي.

شحب وجه "ڤانسي" وغامت عيناه بدرجة لم يسبق أن شاهدتها

من قبل وتصلب فكه. كان سيصرخ ويقفز ويلكم الهواء بقبضته..
لا.. أدرك نظرات "كارين" فقال -بلهجة غير مكترثة سمعتها "كارين" بصعوبة-:
- ليست هناك مشكلة في ذلك.
أمسك بالأوراق التي ناولتها له وتصفحها بسرعة:
- أعرف القاضي وسبق أن قابلت المدعي العام. سأذهب إلى "هونولولو" بعد الظهر وساقدم أقوالي.
- شكرا.. شكرا جزيلا.
- العفو.
تجنب كل منهما عيني الآخر. أحنى "ڤانسي" رأسه علامة الوداع وحذت "كارين" حذوه ثم غادرت الحجرة. لم تجد أي رغبة في العودة للعمل.. كان عليها أن تراجع أفكارها، إنها لن تستطيع أبدا أن تنسى صورتها التي ستطاردها.
اتصلت بـ"كانو" وأوكلت إليه مسؤولية الموقع لبقية النهار ثم ارتدت "مايوه" تحت ملابسها وأخذت لوح التزحلق على الأمواج فوق سقف سيارتها.
ذهبت إلى شاطئها المفضل بعد أن عانت الطريق بسبب عطل سيارتها "التويوتا". ولم تلاحظ من الطائرة الهيلوكوبتر التي كانت تحوم حول المنطقة سوى ظلها، وعند عودة "ڤانسي" من "هونولولو" أحس بالارتياح عندما عرف أن جميع تعليماته تم تنفيذها ولم يظهر أي شخص في أملاكه سوى "كانو" الذي قفز من السقيفة وجرى لمقابلته، أبطل "ڤانسي" المحرك في ضيق ثم خرج من كبينة القيادة.
همس "كانو":
- أخيرا وصلت!
صاح "ڤانسي":

- الأوامر هي أن يربض الجميع على قمم التلال فور إعلان هجوم إعصار "تسونامي" وهذا ينطبق على الجميع وكان عليك..
- لقد أطاعك كل العمال.. عمالك وعمالي وحملوا معهم كل ما في استطاعتهم حمله وقد بقيت أنا لأتصل تليفونيا في كل مكان. بل إنني اتصلت باللاسلكي ببعض البواخر الخاصة بالصيد التي لاتزال بالبحر.
- ولماذا؟
- لا أحد يعرف أين "كارين"! لقد رحلت في الصباح بلوح التزحلق بالشراع ولكن أحدا لا يعرف وجهتها وتوجد مئات الشواطئ على هذه الجزيرة.
غزا برد مثلج قلب "ڤانسي" كتم قلقه وأجاب:
- لابد أنها سمعت اللاسلكي ولجأت إلى ملجأ.
قال "كانو" بإلحاح:
- لا أحد سمعها أو رآها ولابد أن كل السفن في الميناء.
- إن ذلك الجزء من الجزيرة ربما لن يتعرض لشيء ،إن الأمواج الكبرى تميل إلى الاصطدام إلى الناحية الأخرى وتندفع إلى الوديان مثل "حلاوة" عام ١٩٤٦ هيا اذهب إلى الملجأ وساقوم بالتحليق فوق تلك الجهة.
رد "كانو":
- ساظل بجوار اللاسلكي وستخبرني أولا بأول.
اتفقا على موجة لاسلكية معينة وصعد "ڤانسي" طائرته ثم أقلع.
كان وادي "حلاوة" يعرف باسم "وادي نهار من السعادة" تساءل "ڤانسي" هل يمكن أن تكون قد عادت؟ لا إن الشابة تهرب بإصرار من كل ما يذكرها بـ"ڤانسي" وعلاقتهما القصيرة. كان وادي "حلاوة" في الشرق فاتجه هو نحو الغرب. وتابع على ارتفاع منخفض ما حول الجزيرة وهو يفحص كل صخرة وكل متر من الرمال وأي

مقدمة موجة بحثا عن خيال المحبوبة في كل حركة بالأراضي التي امتدت تحته ، ثم عائدا للخلف عندما كان يظن أنه شاهد شيئا ما.

كان تأنيب ضميره يمزقه. كيف أمكنه أن يتهمها بكل تلك الانحرافات؟ ومن أين أتته تلك الأفكار السيئة؟ لقد دفعه الغرور إلى إهانة "كارين" ودفعها إلى مقاطعته ، وخوفا من أن تتركه فضل أن يعيش وحيدا . إنه لم يكن يعلم أي عذاب سيعيشه. بكى بشدة نادما.

كان البحر داكن الزرقة وطار "ڤانسي" فوق ميناء "كونا كاكي" الصغير ومزارع الكاكاو الخاصة بالملك "كاميهاميها" وشاطئ "كيبوهي" والموقع المهجور مؤقتا لفندق "شيراتون".

برزت بعد ذلك الهضاب التي لا يمكن اختراقها ورأى أنه لا جدوى من فحصها. وكان طرف الجزيرة خاليا. لقد نجح نظام الإنذار على خير مايرام وذهب كل فرد إلى الملجأ ،ولابد أن "كارين" هي أيضا فعلت ذلك. هذا أمر مؤكد. وما إن يقابلها فسيركن جانبا كل كبريائه الغبية وسيلقي بنفسه عند قدميها.

اتصل بـ"كانو" وقال:

– لقد طرت فوق ثلاثة أرباع الساحل. لابد أنها لجأت إلى مكان ما. ألم تتصل بالتليفون؟

– لا.

ثار "ڤانسي" إن عدم مسؤولية "كارين" تسبب له الضيق الشديد، إن العثور على كبينة تليفون ليس بالأمر الصعب. إنها حتى لم تفكر في طمأنته ،والأدهى والأمر أنها لم تهتم بأمن الرجال المسؤولة عنهم.. لا.. هذا مستحيل.... لابد أن صمتها هذا يرجع إما إلى صعوبة الاتصال أو أنها تجهل الخطر الذي يهددها ، وصل إلى ما فوق شلالات "موالا".

برز رأس "كارين" من تحت الماء للمرة الثالثة جعلتها الأمواج النزقة

تفقد توازنها وتسقط، تشبثت بلوحها وانتظرت حتى تلتقط أنفاسها. لم يخطئ "ڤانسي". وادي "حلاوة" كان آخر مكان يبحث فيه. لا يوجد أحد على الشاطئ ولا وسط البحر ولم يعد هناك سوى بعض الخلجان الصغيرة يفحصها ويستطيع بعدها أن يعود وهو مقتنع بأن "كارين" لا تخاطر بشيء ، لمح بطرف عينه وميضا أصفر عن يمينه إنه كيس بلاستيك دون شك. لقد أصبح السياح أكثر إهمالا قام بنصف جولة ليطمئن قلبه إلا أنه لم يترك شيئا.

عادت البقعة الصفراء للظهور ثانية. غطى العرق جبين "ڤانسي" عندما رأى شراعا ولوح خشب يطفو وجسدا يحاول القفز فوقه.. أيا كان هذا الشخص فهو في خطر. نهض الخيال وقد ارتدى "مايوه بكيني" رفيعا لونه تركواز.. إنها "كارين"!

كيف يستطيع أن يحذرها؟ لقد كان الطريق زلجا جدا لا يستطيع أن يهبط عليه وكان الشاطئ قصيرا ولو اصطدم وتحطم فإنه لن يستطيع أن يهب لنجدتها.

خفض من ارتفاعه أكثر وأخذ يدور في حلقة. رأت الطائرة وأشارت إليها بيدها. إنها لم تفهم وهذا أمر واضح، اتصل بـ"كانو".

– لقد عثرت عليها. انطلق بالزورق البخاري وانتظرني.

اتجه نحو أملاكه وهبط ثم أبطل المحرك وجرى نحو المرسى ،وشرح الموقف لـ"كانو" بسرعة وأقنعه بأن يجري ليحتمي بالتلال. ثم انطلق الزورق السريع.

*****

رأت "كارين" فعلا الطائرة البرمائية. لقد تأثرت لأن "ڤانسي" خمن أين قضت نهارها.

بعد ساعات من التفكير انتهت إلى قرار أن كلا منهما مدين للآخر هذا المساء بحديث صريح وجاد. إنهما بالغان ويجب عليهما أن يكفا عن التصرف كمراهقين، وأيا كانت النتيجة فليس هناك ما تلوم نفسها عليه. إن الاستمرار في السكوت ومحاولة تجنبه والتظاهر بعدم الاكتراث هو جبن وربما غباء.

ابتعدت الطائرة البرمائية بعد ذلك. هل كان ذلك وداعا؟ هل سيرحل إلى "هونولولو"؟ أم إلى القارة الأمريكية؟

تكومت فوق لوح التزحلق وترددت.. هل تعود إلى الكوخ لتجد نفسها وحيدة؟ أم تطيل من رياضتها ساعتين أخريين، وتستفيد من نسيم البحر المنعش الذي بدأ يشتد.

لقد حققت تقدما في رياضتها وأحست بأنها هدأت وأنها أصبحت متوافقة مع نفسها. إنها خسارة أن تضيع فترة ما بعد الظهر الرائعة هذه. إن قرارها الحديث مع "ڤانسي" جعل روحها حرة ومستعدة للاستفادة من هذا النهار الرائع.

*****

اتجه شراع "كارين" نحو الشاطئ. نظر "ڤانسي" إلى ساعته.. كم ساعة بقيت أمامه؟ نصف ساعة على أقصى تقدير. إن الأرصاد الجوية لا تستطيع التنبؤ بالدقة الواجبة عن الساعة التي سيتفجر فيها الإعصار.. لقد زادت الرياح دون مبالغة ولكنه اندفع نحو الشاطئ لم يبطئ إلا في اللحظة الأخيرة. رفع عباب البحر الناتج من سرعة الزورق اللوح الشراعي ثم قلبه. برزت "كارين" من الماء وهي ثائرة وفمها مليء بالشتائم عندما شاهدت الشاب يقفز من زورقه ويغطس في البحر وبعد ثانيتين كان بجوارها وأمسك بذراعها ثم أخذ يسحبها

إلى الشاطئ. صاحت:

- هل أنت مجنون أم ماذا؟

صرخ:

- اسرعي.. لقد أعلنوا عن إعصار "تسومي" يجب الوصول بسرعة إلى التلال.

أطاعته دون نقاش. خرجا من الماء وهما يجريان وتركت لوح الشراع والقارب السريع واندفعا إلى حيث توجد سيارتها. كان المفتاح مخبأ تحت دلو فناولته لـ"ڤانسي" فانزلق خلف عجلة القيادة وأدار "الكونتاكت" ولكن لا شيء، كرر المحاولة بلا جدوى.

اعترفت له "كارين" بأن السيارة لا تنطلق بسهولة، لقد كان كل شيء خطأها وهي دائما المذنبة. لم يقل لها "ڤانسي" شيئا وإنما صاح:

- تعالي.. لن نستطيع أن نبقى هنا.

خرجا من السيارة وفكر "ڤانسي" لثانيتين لقد احتمى فلاحو "حلاوة" بتل مرتفع يقوم على الجانب الآخر من الطريق ولكن حتى يصلا إليه لابد من اختراق امتداد طويل من الأرض المسطحة والوقت لا يسعفهما. وكان أقرب إليهما الطريق الجبلي شبه الممهد نوعا ما والمؤدي إلى شلالات "توالا" لم يكن أمامهما خيار آخر.

اندفعا نحو السطح الزلج المغطى بالطين ولكن سرعان ما تقطعت أنفاس "كارين" أخذت قبضة "ڤانسي" تجرها وترفعها وتجعلها تطير فوق العوائق.

مرة ثانية تعرض للخطر. صاحت:

- اذهب أنت ولا تنتظرني!

أدار رأسه دون أن يبطئ من سرعته وقد ارتسمت ابتسامة على وجهه وقال:

www.elromancia.com

– لو سمحت لي.. لن أتركك أبدا!

أخذ قلبها يدق بشدة وشفتاها أصبحتا جافتين واضطرت إلى الإسراع. كانت الأغصان تجرح وجهيهما وتدميهما وتلتصق بسيقانهما والطين يبطئ من خطواتهما. قالت مقترحة:

– ما رأيك لو تسلقنا شجرة؟

كانت قد رأت في يوم رجلا ينطلق إلى قمة نخلة وبدا لها ذلك سهلا وسريعا.

– لا.. إننا بذلك نكون منخفضين جدا كما أنها ستهتز بنا يمينا ويسارا.

بدأت أنفاس "ڤانسي" تتحشرج وهو يلهث ولكن قوته لم تضعف. وبدا وكأن ذراع "كارين" ستقطع. كان جانباها يؤلمانها وساقاها ترتجفان وتهددان بالتوقف. أوشكت أن يغمى عليها ثم صاحت:

– لم أعد أتحمل.

– بل تستطيعين.. بل يجب أن تتحملي.

استدار. فرأت عينيه تتسعان رعبا نظرت خلفها فصرخت صرخة مزقت أحبال صوتها. تصاعد جبل سائل في الخليج مع زمجرة رهيبة غاضبة ،كان على الأقل في حجم عمارة من ثمانية طوابق ألقى بها "ڤانسي" نحو شجرة "كوكوي" وصرخ:

– تشبثي بها بكل قوتك.

احتضنت الجذع وغرست فيه أظافرها بينما التصق "ڤانسي" بها مثبتا الشابة بالشجرة، كان خد "كارين" ملتصقا بشدة بلحاء الشجرة الخشن ومع ذلك صاحت:

– أنا أحبك يا "ڤانسي"! يجب أن تعلم أنني أحبك.

استطاع أن يقول قبل أن تغطيهما الموجة الشديدة:

– على الأقل نحن الآن معا.

تلقت الكعوب والركب والمفاصل والأكتاف الصدمة المثلجة. كان العنف شديدا حتى إن "كارين" فقدت أنفاسها، ظلت تراودها فكرة واحدة وهي ألا يصاب هو وإنما هي التي تصاب، إنه تصور أبله حيث إنه هو الذي كان يشكل درعا لحمايتها بجسده. فجأة ثبت الماء حيث وصل إلى ذروته صاح "ڤانسي":

– امسكي جيدا وتحملي!

وفي الحال حاول ارتداد المياه أن ينزعهما من مكانهما. إن إعصار "تسوميي" يرفض الرحيل بدون فرائس. أحست "كارين" بذراع "ڤانسي" تتصلب وصدره ينتفخ. مال على الشابة وكأنه يريد أن يثبتها في الشجرة.. إنها لحظات أبدية ، تسرب الزبد اللزج بين جسديهما فابتعدت ساقا "ڤانسي" وذراعاه. صاحت "كارين" وهي تترك قبضتها حول الشجرة لتمسك برسغه–:

– لا.

رد قائلا:

– كل شيء على ما يرام.. لقد انتهى كل شيء.

كان يبتسم.. لقد انحسرت الموجة ساحبة معها الأحجار والصخور والحصى والأغصان المكسورة.

اهتز جسد "كارين" في نشيج عصبي ثم أضحت بين ذراعي "ڤانسي" .جعلهما الفرح والإرهاق يترنحان ويسقطان. تشبثا ببعضهما كما فعلا وهما ملتصقان بشجرة الـ"كوكوي" .ظلا هكذا وقتا طويلا بلا حركة مذهولين من الحب والعرفان.. لقد جمعتهما معجزة.. معجزة هي التي أنقذتهما من موت محقق.. من عليهما أن يشكراه؟ كان "ڤانسي" أول من قطع الصمت.

– تلك الكلمات التي نطقت بها من قبل هل هي مخلصة؟

www.elromancia.com

– نعم أنا أحبك.

– وأنا كذلك أحبك. هل يمكن أن تسامحيني على أخلاقي السافلة واتهاماتي الباطلة؟

– وهل تسامحني على بلاهتي وغبائي؟ أنا سامحتك.. لقد قلت لي: إنك تحبني ولكني لم أرغب أن أستمع إليك. وغلطتي هي السبب فيما أضعناه من وقت ثمين.

نظر إليها في حنان لم يسبق لها أن رأته من قبل. قال لها:

– لابد أن نصعد إلى مكان أعلى حيث يحدث أن يتبع إعصار "تسومي" إعصار ثان وثالث.

افترقا في أسف ولاحظت "كارين" فجاة التخريب الذي أحدثه الإعصار قال لها "فانسي":

– لا تنظري ولا تفكري بعد الآن.. لقد عانت الطبيعة ونحن كذلك ولكن ربما كان سيحدث الأسوأ..

نظر إلى بشرة "كارين" التي عانت الكثير وكان لحاء شجرة "الكوكوي" الخشن قد ترك آثاره عليها. قال:

– أنا آسف.. لقد ضممتك بقسوة.

– لقد أنقذت حياتي وعرضت حياتك للخطر.

استأنفا السير في الطريق الجبلي وقد تشابكت يداهما.

سألته:

– وماذا عن الآخرين؟ "كانو" و"هيرا" وعمالي وعمالك؟

– كل الناس سالمون معافون ثم إنني أشك في أن هذا الجانب من الجزيرة أصابه الإعصار. وبمناسبة البيت لقد فكرت في الطرق التي تجعله أكثر قبولا.

قالت "كارين" في دهشة:

– أكثر قبولا؟ إنه لا ينقصه شيء!

– إنه معزول.. ويمكن عن طريق "إيريال" ضخم الاتصال بـ"هونولولو". إن الكتب متوفرة ولكن يمكننا طلب المزيد وكذلك شرائط الفيديو والمجلات ويمكننا أن نقرر الذهاب مرة على الأقل كل أسبوع إلى "هونولولو" ومرة أو مرتين في السنة إلى القارة الأمريكية أو "أوروبا" أو..

– أنا لست في حاجة إلا إليك يا "فانسي".

وقف وقد بدا عليه التجهم ،رفعت يدها لتربت على خده فقال:

– أعرف أنك صادقة ومخلصة ولكني أفكر في المستقبل فستحتاجين إلى المزيد وإلى عملك.

أخذت تفكر في هدوء ثم قالت بعد أن زفرت:

– ربما.

– إن إعصار "تسومي" لم يكنس كل المشاكل.

– على الأقل نحن نعرف الآن أننا متحابان.

ملأتهما الثقة بالسعادة، همست "كارين":

– من يتصور أننا آذينا بعضنا كثيرا! ومن أجل لا شيء.

– إن حبنا سينمو ويزداد كلما اندملت جراحنا ولكن في اليوم الذي ترغبين فيه في الرحيل لن أمنعك.. اعلمي هذا.

رأت من نظرات عينيه أنه صادق.

– وأنا أريد منك أن تمنعني.

– حسنا.. ولكن هناك المزيد. لقد راقبتك وأنت في موقع العمل.. أنت محترفة حقيقية والعمل يجعلك سعيدة. إنني لا أستطيع أن أطلب منك أن تتخلي عن العمل وأغلق عليك الباب في هذه الجزيرة المنعزلة.

انقبض قلبها. ما الذي يريد أن يقوله؟ هل يدعي أنه يحبها ولكنه لا يريد منها أن تشاركه حياته؟ تابع حديثه دون أن يدرك مدى

www.elromancia.com

قلقها.

– أولا.. تستطيعين أن تساعديني على الاهتمام بأملاكي. ومع ذلك فإن طبعك ليس من النوع الذي يتلقى الأوامر، لذلك وانتني فكرة أخرى.

كانت مذهولة ومتوجسة وهي تنتظر البقية.

– بالتأكيد هذا لا يقارن بالحياة التي تجوب القارات التي كنت تعيشينها، ولكن جزر "هاواي" لم تصل إليها الحضارة والتقدم المأمولان. ورئيس موقع عمل ممتاز مثلك سيجد فيها ما يشغله. سنشتري طائرة ثانية والرحلة إلى "كواي" أو حتى "بيج أيلاند" ليست طويلة ثم..

قاطعته. إن رغبة "ڤانسي" في أن يسعدها كانت تربكها وتقلب كيانها. لابد أن تقبل اقتراحاته.. ألا يقدمها إلا من أجل طمأنتها؟ قالت:

– الحق معك.. سأتحدث في ذلك مع "جوردان ناش" والآن أين سنذهب؟

قال لها –وهو يشير إلى قمة التل–:

– هناك حيث ينتظرنا!

– من؟

– الحب. إنه لم يعد يستطيع الانتظار هيا.

ابتسمت وتبعته. وتحولت الرياح وهي تطلق زفرات الموافقة وكأن أرواح "مولوكي" قبلت أخيرا وجود "كارين".

تمّت بعون الله